صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ــــص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٢ « الاثنين ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ٢ فبراير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

عدالة الأرض

ودم الشهيد حسن البنا

للأستاذ سيد قطب

قضية هذا الدم الزكى لا تزال بين يدى القضاء ، فلا تعليق لى عليها فى موضوعها ووقائعها ؛ ولكنها تثير فى النفس أشجانا ، وتكشف فى الوقت المناسب عن حقائق ، وتوجه النظر إلى حقيقة عدالة الأرض ، وترفع البصر إلى عدالة السماء ، وتميز بين ما يصنعه البشر من القانون ، وما يصنعه الله من الشريعة .. « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

إن ممثل الاتهام يقول :

« وبما أن الواقعة — كما أظهرها التحقيق — تتلخص فى أن الأميرالاى محمود عبد المجيد بيت النية على قتل المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين « المرحوم الشيخ حسن البنا » وإن لم يصل التحقيق إلى تحديد إن كان فى ذلك متفقا

عليـه مع ولاة الأمور فى الدولة — وقتئذ — أو أنه كان يعمل لهـذا حتى يحظى بتقدير ولاة الأمور أولئك ، لثقته فى أنهم أهدروا دم المجنى عليـه ، فبات تنفيذ قتله أمنيـة يتوقون إليها ويروجون لتحقيقها

« وتنفيذا لـا بيت الأميرالاى محمود عبد المجيد النية عليه ، استقدم إليه الأشخاص الذين يعرف فيهم الاستعداد الإجرامى لأرتكاب هـذه الجريمة ، والذين وقع اختياره عليهم لتدبيرها وتنفيذها ، وهم الصاغ حسين كامل ، واليوزباشى عبده أرمانيوس ، والأمباشى أحمد حسين جاد ، ووكيل الباشجاويش محمد اسماعيل ، والأمباشى حسين محمدين رضوان ، والباشجاويش محمدمحفوظ محمد ، ومصطفى محمد أبو الليل ويوسف أبو غريب ... الخ »

وينتهى ممثل الاتهام إلى المطالبة برءوس هؤلاء الذين حددتهم عريضة الاتهام : ويقف مكتوف اليدين أمام « ولاة الأمور أولئك الذين أهدروا دم المجنى عليه » لأن قانون الأرض الذى بين يديه ، لا يساعده ولا يساعد العدالة على الأخذ بتلابيبهم على الأقل بتهمـة « إهدار دم المجنى عليه » وهم المـكلفون حماية هذا الدم البرئ

والقضية بين يدى القضاء فيما يختص بالمتهمين ، فلا تعليق لى على موضوع الدعوى ولا حوادثها .. ولـكن لنفرض أن المحـكمة قد أجابت ممثل الاتهام إلى كل طلباته ، وسلمت إليـه رؤوس هؤلاء المتهمين .. فماذا تساوى تلك الرؤوس بالقياس إلى رأس حسن البنا ؟ وماذا تساوى تلك الدماء بالقياس إلى ذلك الدم الزكى الذى أريق ؟

ألا ما أعجز عدالة الأرض حينئـذ ، وما أقصر يدها عن العدل فى أضيق معانيه !

إن أكبر الرؤوس فى ذلك العهـد الآثم ، رؤوس « ولاة الأمور أولئك » كما يعبر عنهم ممثل الاتهام فى احتقار .. إن أكبر الرؤوس يوم ذلك مجتمعة لا تصلح أن تـكون موطئا لقدم ذلك الشهيد الـكريم . ولا تحقق ذلك القصاص العادل من ذلك العهد الفاجر وممثليه أجمعين .. فـكيف ببضعة رؤوس صغيرة أكبرها رأس ذلك الأميرالاى الصغير ؟

هنا تبـدو عدالة الأرض قاصرة . ويبدو تشريع الأرض هزيلا . ويبدو مشرعو الأرض أقزاما ..

وهنا تبـدو المسافة هائلة بين تشريع الله للبشرية وتشريع الإنسان

ما جزاء ولى الامر الذى يهدر دم الأبرياء الطاهر ؟

ماذا تقول عدالة الأرض فى ذلك الاتهام الذى يذكره ممثل الاتهام على سبيل الجزم والتأكيد ؟

لعل الحصانة الكاذبة « لولاة الأمور أولئك » هى التى قيدت يد ممثل الاتهام ، فلم يستطع إليهم سبيلا !

فأى زيف زيف تلك الدساتير التى تسبغ الحماية على المجرمين وترفعهم فوق العدالة وفوق القانون ؟ وأى عجز فى عدالة الأرض كلها وأى قصور ؟

إن عدالة الأرض هذه لتمنع محكمة النقض فى مواطن كثيرة أن تحـكم ببطلان الحـكم الجائر إذا لم تجد سبيلا لقبول الطعن فيـه شكلا ، فإذا كانت الإجراءات الشكلية كلها صحيحة ومستوفاة وقفت محكمة النقض عاجزة عن أن تنفذ إلى الموضوع . ممنوعة من إحقاق الحق الذى تراه ، مكتوفة عن رفع الظلم الذى تعتقده !

وحتى حين تجد منفذا فى الشكل فإنها تقف مكتوفة اليدين إذا لم تجد فى التطبيق القانونى الموضوعى خطأ .. مهما يكن الحـكم مع ذلك جائرا

ولقد وقف المرحوم عبد العزيز فهمى هذا الموقف فى قضية البدارى . لا يجد سبيلا إلى دفع الظلم وتحقيق العدل إلا صرخة يبعثها من أعماق ضميره ، صرخة فى وجه قانون الأرض الذى يقف جامدا مكبلا بالإجراءات !

وتخطئ المحـكمة ذاتها ثم يتبين لهـا الخطأ بعد أن تصدر حكمها ، فلا تملك حينئذ أن ترجع إلى الصواب ..

لقد خرج الأمر من يدها بمجرد إصدار الحكم !

ها ها ! ها ها لعدالة الأرض التي ترى الحق واضحا ولكنها لا تملك الرجوع إليه ، لأن الأمر خرج من يدها محافظة على الإجراءات !

أما عدالة السماء، فتقول : إن الرجوع الى الحق فضيلة .

ولا تمنع القاضي الذي يصدر الحكم ، ثم يتبين له خطؤه أن ينقض حكمه بنفسه ، وأن يرتد إلى الحق ، لأن الحق أولى بالاتباع

وبالطبع لا تقف أمام محكمة أخرى أن ترد الحق إلى نصابه بمجرد أن يتبين الحق ، غير مقيدة بهذه الشكليات التي يؤثرها قانون الأرض على العدالة ، ويصون اعتبارها ولو بإهدار دماء الأبرياء

فأين عدالة الأرض من عدالة السماء ؟!

إننا حين نطلب للاسلام أن يحكم ، وحين نطالب لشريعته أن تكون مصدر التشريع .. إنما نطالب بشريعة أرقى ، وبإجراءات أدق ، وبعدالة أكمل

والجاهلون يقولون : أتريدوننا على أن نرتد إلى الوراء أربعة عشر قرنا ؟ !

يا للغرور ! يا للجهالة ! إن قانونكم هو القاصر العاجز ، وإن تشريعكم هو المتأخر الجامد ..

إن شريعتنا التي ندعوكم إليها لا تغل يد القاضي عن العودة إلى الحق ، في أي وقت وفي أي دور من أدوار المحاكمة.. حتى بعد الحكم ، له أن يعود إلى الحق الذي يراه

إن شريعتنا لا تقف جامدة مشلولة أمام الظلم الواقع والعدل الضائع ، لأنها تريد المحافظة على كرامة الإجراءات دون كرامة العدل والحق والقضاء

إن شريعتنا لا تقف عاجزة أمام ملك ولا رئيس جمهورية ولا رئيس وزارة ولا وزير ولا كبير .. فحيثما كانت جريمة فشريعتنا حاضرة لردع المجرم كائنا منصبه ما كان

إن شريعتنا لا تسمى القاتل ولا المحرض على القتل صاحب جلالة ، ولا تصون ذاته المقدسة ، ولا تضعه فوق القانون

إن شريعتنا لا تدع ولاة الأمور يهدرون دم الأبرياء ، ثم يروحون ناجين لا تمتد إليهم يد القانون الشلاء العرجاء

لهذا نحن ندعو إلى تحكيم شريعة الإسلام ؛ لأنها شريعة أكثر تقدما ، وأوسع أفقا ، وأكثر مرونة .. ولأن قانونكم الأرضي قاصر جامد متخلف لا يلبي داعي الزمن ؛ ولا يقتص لدماء الأبرياء !

* * *

تساوقت هذه الخواطر في نفسي وأنا أطالع صحيفة الأهرام . وأنا أبصر بيد العدالة الأرضية قصيرة عاجزة شلاء . وأتطلع إلى عدالة السماء فأراها شاهقة سامقة متفوقة شماء.

وقلت : ألا يفتح الله على هذه البشرية فتخرج من مضيق الأرض إلى فسحة السماء ؟ ألا يكشف الله عن بصيرة هذا الناس فيبصروا النور الذي يتخبطون دونه في دياجير الظلام ؟

إن أشد ما يثير الضحك المر .. رجال القانون عندنا ، أولئك الذين يحسبون شرائعهم عصرية تقدمية ، ويعدون شريعة الله قديمة ورجعية !

إنهم لا يكلفون أنفسهم النظر في شرائعهم وشريعة الله . ليعلموا أن عقلية التشريع التي بين أيديهم جامدة قاصرة حين تقاس إلى الشريعة السمحة الحرة الدقيقة العادلة

إنهم جهلاء ويحسبون أنفسهم من العلماء ! إنهم جامدون ويحسبون أنفسهم متحررين « وإذا قيل لهم : لا تفسدوا في الأرض . قالوا : إنما نحن مصلحون ! ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »

غفر الله لهم وهداهم إلى الحق . والحق منهم على قيد ذراع

سيد قطب

باطل مشرق

للاستاذ محمود محمد شاكر

لم أكد أفرغ لنفسي ، وأنفض عن فكرى مثاقل الهم الفادح الذى أحمله إذا كتبت فى شأن هذه الأمم المسلمة — حتى دخلت على فى خلوتى أيام وليال، تعلمنى أن الباطل المشرق ، صنو الباطل المظلم البهيم . بل إن الباطل المشرق أضرى وأفتك بالبشر من صنوه وأخيه المظلم . للباطل المظلم ردة ، كردة الوجه القبيح ، يزوى لها الناظر ما بين عينيه ، ويرد بصره معرضا عما يرى فيه من قبح. أما الباطل المشرق المضىء ، فله فتنة تنادى ، كفتنة وجه الحسناء الخبيثة المنبت ، تأخذ بعين الناظر ، فيقبل عليها ملقيا بنفسه فى مهالك هذا الجمال الآسر، وإذا المنبت الخبيث ذرة مستهلكة فى هذا التيار المترقرق من فتن الحسن والهوى .

وهذه الرقعة المتراحبة من حدود الصين إلى المغرب الأقصى — والتى تسكنها أمم ورثت اسم الإسلام ، فنسبت إليه ، ووصفت به — تعيش اليوم فى بريق متلألىء من هذا الباطل المشرق . فمنذ أكثر من مئتى سنة ، ضربها الغازى الصليبى المستعمر ضربة رابية ، حتى خرت عاجزة ، ثم ظل يغربها حتى همدت أو كادت . وفى خلال ذلك كان الغازى يستحيها بحياة غريبة عنها حتى يأتى يوم تتبدل فيه من حياة كانت إلى حياة سوف تكون . وكذلك يقضى قضاء ساحقا على أسباب الحياة الأولى ، الحياة التى كانت تعرف بالحياة الإسلامية .

ثم جاء اليوم الذى ظن فيه هذا العالم أنه ارتد إلى الحياة مرة أخرى . ونعم، إنه ارتد إلى حياة مرة أخرى ، ولكن أى حياة ! ما على الآلاف المؤلفة التى تدب فى أرجاء هذا العالم من مثل هذا السؤال ؟

إن حب البقاء فى الحى الفرد ، أقوى من العقل، أقوى من حب المعرفة ، أقوى من حب المال . فإذا ظفر بالبقاء على أمه الأرض ، فقلما يبالى بشىء غيرهذا البقاء . ولكن الحياة الإنسانية مجتمعة لا تستقيم بحب البقاء وحده . فالاجتماع الذى يضم هؤلاء الأحياء المتشبثين بالبقاء ، يحدث لهم ضروبا جديدة من الأمانى والآمال والمطامح، تغلب هذا الحب الخفى للبقاء المجرد فى الفرد ، وتنشىء فيهم حباً لبقاء آخر : هو بقاء حياة الجماعة ، من حياة أنشأها الإلف والتعود، وحياة تنشئها الأمانى فى حياة أتم وأكمل وأمجد . والنزاع بين حياة الإلف والتعود ، وحياة الأمانى فى الكمال والمجد ، نزاع عنيف ، وهو على عنفه أمر غامض فى نفوس عامة أفراد المجتمع ، لأنه يقوم على أمانى مبهمة دائما فى أول أمرها . ولا تستبين هذه الأمانى إلا فى فئة قليلة ، تملك من القدرة على النظر ، وعلى التأمل ، وعلى البيان عن نظرها وتأملها ، قسطا يتيح لها أن تحاول التعبير عن هذه الأمانى ، تعبيرا يخرجها من حيز الأمر المبهم إلى حيز الأمر البين .

فمن هذا المدخل يدخل على الجماهير أحد رجلين : إما رجل عاقل صادق يحسن النظر والتأمل والبيان ، وإما رجل ذكى قادر يموه عليهم بالنظر والتأمل والبيان . أحدهما عارف يصدق الناس ولا يبالى ، والآخر دجال يلعب بالناس ولا يبالى . أحدهما لا يأخذهم إلا بالوسائل التى تقوم على الصدق والعدل والحق ، والآخر يأخذهم بكل وسيلة لا يعبأ بصدق ولا عدل ولا حق . أحدهما يعلم الناس معنى هذه الأمانى المبهمة فى أنفسهم ، كما ينبغى لكل تعلم ، من جهد ومشقة وحذر وبصر . والآخر يملهم معنى هذه الأمانى المبهمة فى أنفسهم ، بما يستثيره فيهم، وما يستغله من نزوعهم ولهفهم ، لا يأبه لشىء إلا لما يستخفهم إلى اتباعه وطاعته وتمجيده .

فالحرية مثلا شوق تهوى إليه نفوس المستعبدين . كلمة مبهمة تعيش فى سر نفوسهم كالقبس المكفوف ، لو كشف غطاؤه لأضاء . فالرجل الصادق يعلم النفوس معنى

الحرية ، ويكسبها من وسائل تعلمها ما لا بد لها منه من صدق وعزيمة وجد ومشقة وبصر ، حتى تتهاوى الجدران التي تحول بينها وبين الإنطلاق ، وتنفض الأغلال الثقيلة النليظة التي تعوق الحي عن إدراك حريته . أما الدجال ، فهو لا يزال يصرخ فيهم باسم الحرية ، ثم لا يمنح الناس من وسائلها إلا كل وسيلة لا تغنى شيئاً في كفاح الجدران والأغلال ، بل ربما زادت الجدران صفاقة وقوة، والأغلال ثقلا وغلظا وفداحة . فهذا هو الباطل المشرق ، لأنه يأتى الناس من حيث تهوى أفئدتهم معنى مبهما غامضاً كريما ، فيموه هذا المعنى بما شاء من تمويه ، ليسير الناس وراءه كما هم عمياً صما ، لا ليعلم الناس حقا يطلبونه ويحرصون عليه ويزدادون معه على الأيام بصراً وإدراكا .

وهذا العالم الإسلامى الذي يموج اليوم موجه ، ينبح في نواحيه هذا الباطل المشرق . ينبح في السياسة ، وفي العلم ، وفي الأدب ، وفي الفن ، وفي الأخلاق ، وفي جماع ذلك كله : في الدين . هو عالم مستغفل ، يستخفه الدعاة والدجاجلة ، يهتبلون غفلته في هذه الحياة التي ظن أنه ارتد إليها بعد همود ، ويختلسون نفضة هذا الشوق المضطرم إلى أمانٍ مبهمة غامضة . ويتولى قيادته في كل شأنه ألسنة لا تبالى ، تستفزه إلى المغامرة في سبيل الحياة الماجدة الطيبة التي تجيش فيه . تستفزه بالنداء الصارخ باسم هذه المعاني المبهمة في ضميره ، وتعطيه وسائل وأساليب يظنها معينة له على إدراك ما يشتاق إليه ، وهى في الحقيقة مفضية به إلى التمرغ في حمأة الجهالة والعبودية والغرور الكاذب ، إلى أن يقضى الله في الناس بأمره وقضائه .

وأخطر هذه الألسنة التي تستفز هذا العالم، هي الألسنة التي اتخذت كلمة الإسلام لنواً على عذباتها — لا لأنها أعظم شأنا وأعز سلطانا من الألسنة الأخرى ، ألسنة الموهين باسم الحرية ، واسم العلم ، واسم الفن ، واسم الأخلاق ، بل لأنها تعمد إلى كتاب أنزله الله بلاغا للناس ، وحكمة أوحيت إلى رسوله لتكون نبراسا للمهتدين ، فتحيلهما إلى معان من أهواء النفوس التي لا تعرف الحق إلا في إطار من ضلالاتها وأوهامها. ثم يتبعهم التابعون الجاهلون اتباعاً، هو سمع وطاعة ، ولكن لغير الله ورسوله ، بل للزور المدلس على كتاب الله وسنة رسوله . وإذا هؤلاء المتبعون يعدون هذه الضلالة دينا، ويظنون هذا الدين الجديد إحياء للاسلام. وإذا هم يأخذون دينهم من حيث نهوا أن يأخذوا. يأخذونه عن مبتدع في الدين برأيه ، محيل لنصوصه بفساد نشأته ، مبدل لكلماته بهوى في نفسه ، محرف للكلم عن مواضعه بما يشتهى وما يحب ، مختلس لعواطف الناس بما فيه من حب اتباعهم له ، خادع لعقولهم برفعة الإسلام ومجد الإسلام ، وهو لا يبغى الرفعة والمجد إلا لنفسه .

ولقد أنبأنا معاذ بن جبل رضى الله عنه بصفة ما نحن فيه إذ قال يوما لأصحابه : « إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ، ويفتح فيها القرآن ، حتى يأخذه المؤمن والمنافق ، والرجل والمرأة ، والصغير والكبير ، والعبد والحر ، فيوشك قائل أن يقول : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعى حتى أبتدع لهم غيره . فإياكم وما ابتدع ، فإن ما ابتدع ضلالة . وأحذركم زيغة الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلال على لسان الحكيم . وقد يقول المنافق كلمة الحق . قال له يزيد بن عميرة أحد أصحابه : ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق ؟ قال معاذ : بلى ! اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها : ما هذه ؟ ولا يثنينك ذلك عنه ، فإنه لعله يراجع . وتلق الحق إذا سمعته ، فإن على الحق نورا »

وقد فتح القرآن ، فأخذته الألسنة كلها من مؤمن ومنافق ، ومن صغير وكبير ، وكل يقول برأيه لا يختشى ولا يرهب ولا يتقى . وظهر في كل أرض من يقول لنفسه : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ثم يعود من نحسه وشؤمه ، يجمع كل خسيسة من البدع التي تميل إليها نفوس الجاهلين النافلين ، وتهوى إليها أفئدة الذاهلين

المفتونين بالحب لكل جديدمبتدع . وهو فى كل ذلك يعلم أن المبتدع فى كل شيء له لذة الجدة ، ويعلم أن الناس يشتاقون إلى أمر مبهم فى نفوسهم ، هو استعادة مجد دينهم ، ونشر كلمته فى الأرض ، فلا يبالى أن يشرع لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، فيؤتيهم ما يطابق ما يراه من أشـواقهم ، ويزين لهم أن بلاغ ما يشتاقون إليه قريب ، إذا هم اتبعوه إلى الغاية . وأن شرط بلاغه أن يعطوه السمع والطاعة له ولمن يصطفيهم من شيعته ودعاته . فإذا تم أن تجتمع عليه طائفة من النـاس ، وظهر بهم أمره ، وظنوا أنهم بلغوا بعض ما مناهم لسانه ولسان شيعته ودعاته ، قالوا إن الإسلام هو هذا الذى ندعو إليه ، وإن طريق الحق طريقنا وحده . وإن الإسلام فى غير الإطار الجديد الذى وضعناه فيه ليس من الحق فى شىء ، وإن هـذا الفهم الجديد للاسلام هو خلاص المسلمين من هذه الذلة التى ضربها عليهم الغازى الصليبى . ثم تنشق ردغة هذا الخيال ، عن صنوف مختلفة من الفساد المهلك ، تجعل تاريخ الماضى كله ضرباً من الحياة الفاسدة ، لا ينبغى لأحد من الناس أن يتلفت إليه إلا تلفت الزدرى المستنكف . وعندئذ يصبح الدين فى أذهان الجماهير المتبعة ، رسالة جديدة لها رسولها وحواريوها ودعاتها وشهداؤها . وإلى بيان هذه الرسالة تعود الجماهير ، لا إلى كتاب الله ولا إلى سنة رسوله ، نعم ، بل إلى تفسير هذا الكتاب وهذه السنة كما يراها لهم طواغيتهم من كهوف التبديل والتحريف والتأويل بالهوى والضلالة . وعندئذ يتم تبديل معنى الإسلام فى النـاس ، ويتم للدجال أن يبتـدع بهواه إلى طب فى أهوائهم كتاباً غير كتاب الله . ولولا أن الله قد ضمن لنا حفظ نص كتابه ، وحفظ نص البيان عنه فى سنة رسوله لفعل هذا وأشياعه ما فعل أسلافهم ممن بدلوا كتب الله وحرفوها ، ومحوا منها وأثبتوا ، ونقصوا فيها وزادوا .

لولا هذا الذى نخافه ، بل هذا الذى كان مما نخافه ، لما عددت هؤلاء أشد خطرا من الألسنة التى تموه على الجماهير الجاهلة الغافلة باسم الحرية ، واسم العلم ، واسم الفن ، واسم الأخلاق . فطريقهما فى الحقيقة واحد ، ومنشؤها واحد ، ونتائجهما واحدة ، فى التغرير بالناس ، والعبث بعقولهم ، والإفساد لفطرتهم ، واللعب بعواطفهم ، وإيهـامهم أن نجاتهم من عبودية الغزاة أمر قريب لا يكلفهم إلا أن يسمعوا لمن يقول لهم : كونوا أحرارا ، فإذا هم سادة أحرار كما ولدتهم أمهاتهم !

اللهم إنى أبرأ إليك مما نحن فيه . اللهم إنى أخوف الناس مما خوفهم منه عبدك ورسولك إذ يقول : « أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان » . اللهم إنى أقول كما قال صاحب رسولك معاذ بن جبل : « الله حكم قسط ، هلك المرتابون ! »

محمود محمد شاكر

شعراء الوطنية

عبـــد الله نديم

للأستاذ المؤرخ عبد الرحمن الرافعي

تحدثنا فى مقالنا السابق عن رائد أول للشعر الوطنى ، وهو رفاعة رافع الطهطاوى . وقد توفى سنة ١٨٧٣ . وظل الشعر فى مصر خلوا من المعانى الوطنية ، إلى أن تجددت فى شعر عبد الله نديم . وهو ما نتحدث عنه فى هذا المقال

هو خطيب الثورة العرابية ، وهو أيضا شاعرها ، انطبعت فى خطبه وقصائده روح الوطنية المتدفقة . وروح الثورة

ولد سنة ١٨٤٥ بالاسكندرية ، وبدت عليه منذ صباه مخايل الذكاء اللامع ، وظهرت مواهبه فى الترسل فى الكتابة والشعر والزجل والقدرة الخطابية ، مع خفة فى الروح ، وميل إلى الفكاهة . وجرأة وإقدام ، واستخفاف بأحداث الزمن

ولما ظهرت الثورة العرابية أوائل سنة ١٨٨١ انضم إليها بطبعه ؛ إذ كانت نفسه تتأجج وطنية ، وتتطلع إلى الحرية والمجد . وتجلت مواهبه الخطابية ، فصار خطيب الثورة العرابية

ومما يذكر عنه فى صدد الحديث عن شعره الوطنى أنه لما سافر الآلاى السودانى الذى كان يقوده الأميرالاى عبد العال حلمى أحد زعماء الثورة من القاهرة إلى دمياط فى أوائل أكتوبر سنة ١٨٨١ ، كان سفره يوما مشهودا . فاحتشدت الجموع فى محطة العاصمة لتحية الآلاى حين سفره ، وكان من بين المودعين عرابى والبارودى وعبد الله نديم ، فوقف النديم وسط هذا الجمع الحاشد وألقى خطبة حماسية فياضة بدأها بقوله مخاطبا رجال الجيش :

« حماة البلاد وفرسانها !

« من قرأ التواريخ وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل عرف مقدار ما وصلتم إليه من الشرف وما كتب لكم فى صفحات التاريخ من الحسنات

إلى أن قال : وهذا وطنكم العزيز أصبح يناديكم ويناجيكم ويقول :

إليكم يرد الأمر وهو عظيم ... فانى بكم طول الزمان رحيم
إذا لم تكونوا للخطوب وللردى ... فمن أين يأتى للديار نعيم ؟
وإن الفتى إن لم ينازل زمانه ... تأخر عنه صاحب وحميم
فردوا عنان الخيل نحو مخيم ... تقلبه بين البيوت نسيم
وشدوا له الأطراف من كل وجهة ... فشدود أطراف الجهات قويم
إذا لم تكن سيفا فكن أرض وطأة ... فليس لمغلول اليدين حريم

وختم خطبته بقوله : وأحسن ما يؤرخ به اسم الجهادية عند النوازل أن يقال (مات شهيد الأوطان !) فنادى الجميع (رضينا بالموت فى حفظ الأوطان !)

ولما شبت الحرب العرابية لازم النديم عرابى فى كفر الدوار ثم فى التل الكبير ، وكانت مجلته (الطائف) تصدر فى معسكر الجيش المصرى

وبعد أن وقعت الهزيمة ظل مخلصا للثورة فى محنتها . فبرهن على وفاء نادر ووطنية أصيلة عميقة . وكان ممن أمرت الحكومة باعتقالهم ، ومجزت عن التعرف إلى مقره والقبض عليه ، وظل مختفيا عن عيونها وجواسيسها نحو تسعة أعوام . وأعيا الحكومة أمره وجعلت ألف جنيه لمن يرشد عنه ولكنها لم تهتد إليه

وقد وصف ما لقيه من الشدائد أثناء اختفائه فى قصيدة تفيض وطنية وإيمانا وفخرا وشجاعة . وهى من غرر قصائده . قال :

أنحسبنا إذا قلنا بلينا ... بلينا أو يروم القلب لينا
نعم للمجد نقتحم الدواهي ... فيحسب خامل انا دهينا
تناوشنا فتقهرنا خطوب ... ترى ليث العرين لها قرينا
سواء حربها والسلم إنا ... أناس قبل هدنتها هدينا

إلى إن قال :

إذا ما الدهر صافانا مرتنا ... فإن عدنا إلى خطب شفينا
لنا جلد على جلد يقينا ... فإن زاد البلا زدنا يقينا
ألفنا كل مكروه نفدى ... له فرسانه بالراجلينا
فأعيا الخطب ما يلقاه منا ... ولكنا صحاح ما عيينا
سلينا يا خطوب فقد عرفنا ... بأنا الصلب صلنا أو صلينا
وقري فوق عاتقنا وقولي : ... نزلت اليوم أعلى طورسينا
علينا للعلا دين وضمنا ... عليه الروح لا الدنيا رهينا
فهل يمسي رهين في سرور ... وهل تلقى بلا كدر مدينا
إذا ما المجد نادانا أجبنا ... فيظهر حين ينظرنا حفينا
يعفينا فيلهينا التغني ... عن الباكي وينسينا الحزينا
ولسنا الساخطين إذا رزئنا ... نعم يلقى القضا قلبا رزينا
فإنا في عداد الناس قوم ... بما يرضى الآله لنا رضينا
إذا طاش الزمان بنا حلمنا ... ولكنا نهينا أن نهينا

إلى أن قال :

سلوا عنا (منابرنا) فإنا ... تركنا في منصتها قطينا
لحكمتنا تقول إذا هذرتم ... ألا هبي بصحنك فاصبحينا
سرى فينا من الآباء سر ... يسوق البر نحو المعوزينا
فإن عشنا منحنا سائلينا ... وإن متنا نفحنا الزائرينا

وقال يصف إحاطة الجند بالمنزل الذي كان فيه يريدون اعتقاله فنجاه الله من شرهم :

أأنسى يوم مصر والبلايا ... تطاردني ولا ألقى معينا
فكنت[1] الغوث في يوم كريه ... أخاف الشهم والحبر السمينا
مدحنا فيه في إشراق شمس ... فلما جاء مغربه هجينا !
وهل أنسى هجوم الجند عمراً ... بلا علم وقد كنا نجينا
أحاطوا بي وسدوا كل باب ... وصرنا بين أيدي الباحثينا
وكان السطح مملوءا بجند ... وخلف البيت كم وضعوا كمينا
فأدركت الوحيد وكان صيدا ... قريبا من فخاخ الطالبينا
وأرشدت النديم إلى مكان ... رآه بعد حيرته مكينا
وأعمى الله عنا كل عين ... وكنا للعساكر ناظرينا
وصرنا فوق سطح فيه علو ... يحطم هاويا منه متينا
فلم أرهب وثوبي من طهار ... ولم أنظر شمالا أو يمينا
ويوم الغيظ كنت لنا مجيرا ... بسطوته من البلوى حمينا
فقد كنا بلا ستر يرانا ... أمام العين كل القاصدينا
وكم سرنا بلا خوف جهارا ... ركبنا الخيل أو جئنا السفينا
وإني الآن في خطب عظيم ... أرى في طيه داء دفينا
أتانا مخبر عن قوم سوء ... أرادوا وصفنا للحاكمينا
وخاف الضر أحبابي جميعا ... وقالوا بالوشاية قد رمينا
فعجل بالرحيل بلا توان ... ولا تخبر صديقا أو خدينا
فأدرك يا أبي نجلا دهاه ... من الأهوال ما يوهي البدينا
فما خفت المنون ولا الأعادي ... نعم خفت انشراح الشامتينا
فسرت الليل يصحبني ثبات ... لخل نحو منزله دعينا
ورافقني خليل كان قبلا ... بواق حين كنا ظاهرينا
وأدركنا القطار بغير خوف ... وكنا بالثياب منكرينا
وألقى الله ستر الحفظ فضلا ... فلم ترنا عيون المبلسينا
وكان الخل منتظرا قدومي ... بخيل أوصلتنا سالمينا
ونجى الله بعد اليأس عبدا ... يرى الرحمن خير المنقذينا

وإنك لترى هذا الشعر أقوى في الروح والأسلوب من شعره في إبان الثورة . وهكذا يبدو أن الهزيمة لم تنل منه . بل زادته قوة وحيوية وصلابة وبلاغة . وأن الشدائد قد صقلت مواهبه كما تصقل المعادن وتجلى جواهرها على لهب النار . فاحتفظ النديم في سنى المحنة بما حباه الله من إيمان صادق . وعزم ثابت . وصمود على الأيام . وكذلك الشدائد والمحن . يختلف أثرها في نفوس الناس . فبينما تبعث اليأس والجزع في النفوس الضعيفة . تراها على العكس

(١) الخطاب هنا وفى الأبيات التالية موجه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام . والنديم شريف النسب

الآنسة (عطار)!

للأستاذ علي الطنطاوي

أخذت بنتي عنان الشهادة الابتدائية هـذه السنة. ونالت درجة تدخلها الثانويات الرسمية التي يزدحم الناس عليها، ويتسابقون إليها؛ لأنها (في الغـالب) أحسن تعليما، وأمتن نظاما؛ ولأنها بعد بالمجان والمدارس الأهليـة بالأجر (الفاحش أحيانا)، ولـكني آثرت مع ذلك كله أن أدخلها (المعهد العربي الإسلامي) للبنات، لأنه يجمع بين اتباع مناهج الوزارة، والتـأدب (ما أمكن) بآداب الإسلام؛ ولأنه لا يعلم فيه إلا أوانس وسـيدات، فليس فيه معلمون مع المعلمات؛ ولأن المشرفين عليه رجال منا، يعرفون من الأمر ما نعرف، وينكرون ما ننكر، ولا يأبون سماع النصح منا ومن غيرنا، واتباع سبيل الرشـاد وترك طريقهم إليه أن دلنا هم عليه نحن أو دلهم عليه سوانا. وكذلك يكون المسلم: يأخذ الحـكمة من أي وعاء خرجت، ويسمع كلمة الحق أيا كان قائلها

وترددت البنت خشية انتقاص صواحبها، وكلام أترابها. والنساء — مهما كانت أعمار النساء — لا يعشن من الدنيا في حقيقتها، وإنما يعشن في آراء الناس وألسنتهم. والشقاء عند أكثرهن مع التظاهر بالسعادة حتى يظنها الناس فيهن، أحب إليهن من أن يكن سعيدات وهن في ظن الناس شقيات. هذي طبيعة النساء!

ودخلت المدرسة مكرهة، فما مرت أيام حتى صـار الإكراه رضا، والـكره حبا. واشتد تعلقها بالمدرسـة؛ لأن فيها الآنـسة عطار والآنـسة شطي والآنـسة درا، وصارت تجيئنا كل ليلة فتقول لي ولأمها:

— بابا! الآنـسة عطار قالت لنا إن صلاة الجمـاعة

تزيد النفوس الـكبيرة ثباتا وصبرا وشجاعة وإيمانا. ومن هنا جاء شعر النديم بعد هزيمة الثورة أقوى منه في أوج انتصارها

وفي الحق أن النديم هو الزعيم الوحيد بين الزعماء العرابيين الذي استمر في جهاده ضد الإنجليز وفي نضاله عن مصر في عهد الاحتلال. وتلك لعمري ميزة كبرى جديرة بأن تحيط اسمه بهالة من المجد والخلود. وقد اهتدت الحـكومة إلى مكانه سنة ١٨٩١ وقررت نفيه إلى خارج القطر. وفي أوائل عهد الخديو عباس الثاني عفي عنه ورخص له بالعودة إلى مصر. فعاد إليها وأنشأ مجلة (الأستاذ) سنة ١٨٩٢، فتجلت فيها روحه الوطنية التي لم تضعفها الهزيمة ولم تنل منها الشدائد، مما أحفظ عليه الإنجليز وصنائعهم. فتدخل اللورد كرومر وأمر بإبعاده عن مصر ثانية. فاضطر إلى تعطيل صحيفته سنة ١٨٩٣. وودع قراءه وداعا مؤثرا في آخر عدد صدر منها (في ١٣ يونية سنة ١٨٩٣) قال:

«ما خلقت الرجال إلا لمصابرة الأهوال ومصادمة النوائب. والعاقل يتلذذ بما يراه في فصول تاريخه من العظمة والجلال، وإن كان المبدأ صعوبة وكدرا في أعين الواقفين عند الظواهر. وعلى هذا فإني أودع إخواني قائلا:

أودعكم والله يعلم أنني أحب لقاكم والخلود إليكم
وما عن قلى كان الرحيل وإنما دواع تبدت فالسلام عليكم!

وانتهى به المطاف في منفاه إلى الآستانة حيث توفي سنة ١٨٩٦. وشيعت جنازته في احتفال مهيب مشى فيه كثير من العلماء والكبراء يتقدمهم السيد جمال الدين الأفغاني. ودفن هناك

بالأمس كان غريبـا في ديارهم
واليوم صار غريب اللحد والـكفن

عبد الرحمن الرافعي

أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة . الآنسة عطار يا ماما ، حكت لنا قصة الثلاثة الذين انسد عليهم الغار

الآنسة عطار كلمتني اليوم · الآنسة عطار ضحكت لي .

إن حيتها الآنسة عطار طارت من الفرح كأنما حيتها الملائكة . وإن بسمت لها فكأنما بسم الدهر ؛ وإن قالت لها كلمة نقشت كلمها على صفحة قلبها فلا تنساها ، وكانت دستورا لها فلا تحيد عنها . قالت لها الآنسة عطار : اقرئي كل يوم صفحة من القرآن ، فلم تعد تترك قراءة صفحة من القرآن كل يوم . وجاء دمشق (سرك) تسابق إليه الناس ، وتعلقت به البنت ، وحاولت صرفها عنه فلم تنصرف. فلما قالت لها الآنسة عطار : إن هذا السرك شيء قبيح ، صار هذا السرك أكره شيء إليها

عجبت من هذه (الآنسة عطار) ما تكون ؟ ومن أين لها هذا النفاذ إلى قلوب البنات ؟ وماذا فيها حتى تكون الإشارة الواحدة منها أبلغ من مئة نصيحة مني ، والبسمة من فمها أرضى للبنت من الهدية القيمة من يدي ! وسألت البنت عنها

— قالت : هي مدرسة السنه الثالثة ، يحبها البنات كلهن ، ألا تعرفها يا بابا ؟

— قلت : من أين أعرفها ؟

— قالت : إنها تلميذتك . هكذا قالت لي . تلميذتك ، نسيتها ؟ !

* * *

وعرفت أخيراً من هي هذه (الآنسة عطار) . لقد كانت تلميذتي حقاً وذكرت من أمرها (على قلة ما أذكر من أمور تلاميذي وتلميذاتي) ما يكون إن نشرته إماماً لكل طالبة ، وقدوة لكل تلميذة ، ومثالا للطالبة الجادة الشريفة المسلمة ، فلذلك أنشره

ذكرت كيف اضطرتني إلى الانتباه إليها ، قبل أن أعرف اسمها وألزمتني (وأنا مدرسها) بتوقيرها قبل أن أخبر علمها ؛ لأني رأيتها لا تشارك التلميذات في لهو في الفصل ، أو عبث في الفسحة ؛ ولم يكن يحاولن إشراكها معهن . وكن يتكلمن بينهن بلسان الألفة والتبسط والجراءة ، فإذا وجهت إحداهن القول إليها اصطنعت الجد وتكلفت الوقار ، وخاطبتها لا مخاطبة الترب للترب ، بل التلميذة للمدرسة ، والبنت للأم . وما كانت أكبرهن سنا ، ولكن كانت أكثرهن أدبا ، وأكبرهن عقلا . وإذا ألقيت في الفصل نكتة ضحك لها البنات ، كانت ضحكتها ابتسامة ، تومض بلطف ويختفي بسرعة . وإذا عرضت كلمة فيها إشارة إلى مالا يحسن ، أو جاء بيت فيه تعريض بما لا يليق ، علا خديها الاحمرار خجلا وأطرقت حياء

وكانت الطالبات يدخلن الفصل مكشوفات الرؤوس ، يحسبن أن المدرس ليس رجلا أجنبيا ، وليس عليهن الاستتار منه ، ولا عليه غض البصر عنهن ، ومنهن من تلقي على رأسها شيئا لا يستر شعرا ولا نحرا — أما هي فكانت تظهر وجهها وحده على الصورة التي صوره الله عليها ، لا التي صورتها منتجات (ماكس فاكتور في هوليود) ... تلف حوله خمارا أسود على زي ابتكرته هي لنفسها ، وسيقلدها فيه غيرها فتكون سنة حسنة لها أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة — لفا محكما أنيقا ، لا تنكره الشيخة المتدينة ، ولا تستقبحه الفتاة المتمدنة . لا يبدي الشعر ولا النحر ، ولا يثقل على رأس حاملته ولا عيون الناظرين

* * *

وذكرت كيف أخرجتها أول مرة لتقرأ شيئا ، فسمعت إلقاء أجزم أني ما سمعت قط من فتاة أوضح منه ولا أفصح ، وقلما سمعت من رجل مثله ، إلقاء خطيبة واثقة من نفسها ، متمكنة من أدبها ، ضابطة لمخارجها ؛ فاهمة لمانيها مؤدية لها . فلو أن امرأ لا يعرف العربية يسمعها لفهم من لفظها المعنى

من تفخيم اللفظ فى موضع التفخيم . وترقيقه فى محل الترقيق ، وإيفاء اللهجات فى السؤال والجواب والدهشة والإعجاب . فكأنك لا تسمع كلاما ، وإنما تبصر من هذا الإلقاء المعبر (فلما)ناطقاماثلا ؛ على ضبط للألفاظ ، وحفاظ على القواعد ، وتمكن من اللغة والنحو

وكانت مسلمة علما وعملا واعتقادا ، وذلك جماع الإسلام

ونالت شهادة البكالوريا ودخلت الجامعة ، والجامعة فيها هذا المنكر العجيب :

الاختلاط بين الشبان والشابات فى غرفة الدرس ، وفى باحة الكلية ، وفى حديقة الجامعة ، وفى المكتبة ، وفى النادى ، وفى الرحلات والحفلات (وهما شر تلك النكرات) . والطريق إلى الجامعة طويل ، والدروس فى الليل وفى النهار ، والجامعة فى طرف البلد بين البساتين والأنهار ، والدين ضعيف ، والزمان فاسد ، والغرائز مكبوتة ، وإبليس مستعد متيقظ . ولا يأمن مع هذا كله الفساد على بنته إلا مغامر لا يبالى ما فقد من عرضه ، أو مجنون من شأنه ألا يبالى بشىء !

فكانت سيرتها فى الجامعة عجبا من العجب . وكانت تجربة وقى الناس الله شرها . كما قال عمر بن الخطاب : وما كل تجربة يوقى صاحبها الشر — لم تختلط بأحد ، لا بطالب ولا بطالبة ولا بأستاذ

أما الطلاب ، فلأن الدين والشرف والعرف تمنع كلها اختلاطها بهم ، ولو للسؤال عن موعد الدرس ، أو معادلة الكيمياء ، إذ يجر السؤال عن موعد الدرس إلى السؤال عن موعد الغرام ، والمعادلة تدعو إلى المقابلة ، وما تقابل البارود والنار ، إلا كان الانفجار !

وأما البنات ، فلأن فى خلطة بعضهن ما هو شر من خلطة الشباب ، إذ يفسدن من لا يطمع فى فسادها أفسق شاب ؛ ولأن منهم رسل الشيطان ، ووسائط الاتصال بالرجال

وأما الأساتذة فلأنهم (هم أيضا) رجال ، ولأن الشرع لما أمر بستر العورة ، وغض النظرة ، قد شمل بذلك كل رجل وكل امرأة ، فلم يستثن من النساء تلميذة ، ولا من الرجال أستاذا ؛ ولأن المدرس المؤدب المهذب الذى يدرس الخلق والدين ، لا يبقى أبدا كما يكون فى الفصل ؛ ولأن حالات مختلفات ، وغرائز وشهوات ، فإن تكلم فى الفصل بلسان عقله فقد يتكلم خارج الفصل بـ ... غير لسان العقل !

والصخرة الراسية إن أزحتها شعرة بعد شعرة حتى فقدت رسوخها ، رأيتها تتدحرج ثم تهوى فلا تستقر إلا فى قرارة الوادى . وكذلك البنت لا تسقط فجأة ، ولكنها تلين ثم تتزحزح ثم تضعف فتهوى (هى أيضا) إلى الحضيض . فرب بكر عذراء شريفة ، تـ... ـطمع أن تفخر بأشرف أب ، وأن تظفر بأفضل زوج ، وأن تكون سيدة مجمعها ، ووجيهة قومها ، تغدو غدوة ، أوتزور زورة ، فتمزح مزحة ، وتضعف لحظة ، فإذا هى قد غدت ساقطة ، وصارت بغيا ، لا يقبل المجتمع توبتها ، ولا يغسل حوبتها . أما الذى أغواها ، فسرعان ما ينسى الناس فعلته ، ويقبلون توبته ، ويغسلون حوبته ، فيذهب هو بغنم اللذة ، ويبقى عليها غرم العقاب ، تحمله وحدها ، عارا لاسمها ، وولدا فى بطنها ، فتكون قد شرت شقاء العمر بلذة دقائق خمس أو عشر !

* * *

فلما استقرت قدمها فى الجامعة ، وعرفت (صامتة) من حولها ، اصطفت طائفة من البنات ، من كل عفيفة شريفة ، صينة دينة ، فنفخت فيهن روحا من روحها ، وصبت فيهن عزما من عزمها ، وجعلت منهن جبهة للصيانة والديانة ، والشرف والعفاف ، يئس منها الفساق ، كما يئس من دخول الجنة إبليس . والشاب مهما كان جريئا فى فسقه لا يقدم على البنت إن رأى منها الجد والصد ، ورآها تمشى رافعة الرأس ، ثابتة القدم . وإن أقدم عليها فأغلظت رده ، أو لطمت خده ، ولمنت أباه وجده ، فإن زاد خلعت نعلها من رجلها ونزلت به على رأسه — لما عاد

الجناس التام فى القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

ذكر صاحب الإتقان وتابعه صاحب الوسيلة الأدبية أن ليس فى القرآن الكريم من الجناس التام إلا مثالان : قوله تعالى من سورة الروم (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) ومن سورة النور (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار . يقلب الله الليل والنهار ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار)

وقولهم هذا إن صدق ليس فى ذاته بذى خطر ، فليس يهم أن يكون فى القرآن جناس تام أو لا يكون ، فما الجناس التام إلا نوع ضئيل من الجناس ، وما الجناس إلا نوع واحد من المحاسن البديعية ، وما هـذه إلا باب من الأبواب التى تتحقق بها موسيقى التعبير فى فصيح الكلام ، وهى الموسيقى التى بلغت كمالها وتمامها فى القرآن. لكن القضية من حيث هى جديرة بالتمحيص لاتصالها بالقرآن الكريم من ناحية ، ولبعد فيها من ناحية أخرى فمن البعيد ألا يحوى القرآن على سعته إلا مثالين اثنين من الجناس التام

إن المحاسن اللفظية وجدت فى فصيح كلام العرب وفى القرآن العزيز قبل أن تسمى بأسمائها فى علم البيان أو البديع . فالعلم يستقرى الوجود ويصنفه ويضع لأصنافه الأسماء . وما أظن العلمين أحاطا بكل الوجود من أصناف تلك المحاسن . وموضع اللطف فى الجناس التام إذا لم يفسده التكلف أنه يلفت الذهن إلى معنيين مختلفين بلفظ واحد يذكر بمعنى ويتكرر بمعنى . فهو من حيث المعنى كلمتان مختلفتان ، ومن حيث النطق كلمة واحدة . ومن الواضح أن السليم المعفو منه لا يكون فى الغالب إلا فى المشترك من الألفاظ

وليس لما اشترطه بعضهم فى الجناس التام من ألا يكون أحد المعنيين مجازيا محل ولا حكمة ما دام موضع الحسن هو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى ؛ فاللفتة الذهنية هى سواء أكان المعنيان حقيقيين كلاهما ، أم كان أحدهما حقيقيا والآخر مجازيا

ولعل هذا الشرط الذى اشترطوه هو الذى ضيق عليهم الواسع من أمثلة الجناس التام فى القرآن . وحتى مع هذا الشرط فإن فى القرآن الكريم من الجناس التام أمثلة فوق الذى ذكروا لا يدرى كيف خفى عليهم مكانها وهم من هم فى الدقة والتنقيب وتمام العناية بالقرآن

وهم يقسمون الجناس التام قسمين ، فما كان بين لفظين

أما سيرتها فى بيتها ، فسيرة البنت البارة ، والطالبة الجادة ، والمسلمة التى تعرف حق نفسها وحق أهلها وحق ربها ، تترك لله كل ما لا يرضى به الله ، لا رغبة عنه فى الظاهر مع رغبة فيه فى الباطن ، بل عن إيمان ويقين ، وتصديق لقول الرسول : من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

تركت القصص الفاجرة ، والأفلام الداعرة ، وكل ما تتسابق اليه من اللهو الفتيات ، وما تطمع فيه من التوافه البنات ، فعوضها الله عن ذلك علما وفهما ، ومنزلة تتمناها كل بنت فلا تصل إليها إلا القليلات ؛ وراحة فى نفسها ، واطمئنانا فى قلبها لا ينالها بالمال بنات ملوك المال

* * *

هذه هى الآنسة عطار التى تعلمت من سيرتها أنه لا يصلح البنت إلا الصالحات من البنات ، فإذا أردنا الإصلاح حقا فلنعمد له مثل (الآنسة عطار) التى أنشر هذا الطرف من سيرتها ، لتتخذها طالبات الجامعات قدوة لهن ومثالا ، ولتزداد هى صلاحا بذلك وكمالا

على الطنطاوى

من نوع واحد كأن يكونا اسمين أو فعلين سموه متماثلا ، وإلا فهو مستوفى . ولكل أمثلة فى القرآن الكريم

فمن أظهر أمثلة المستوفى مثلان : الأول فى قوله تعالى لأسرى بدر من سورة الأنفال : (إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) فإن خيرا الأولى اسم ، وخيرا الثانية أفعل تفضيل . أما المثل الثانى ففى قوله تعالى من سورة المؤمنون بعد أن نفى أن يكون معه سبحانه إله غيره : (إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) فإن الجناس بين الفعل علا والحرف على تام ظاهر لا ينقص منه دخول لام التوكيد على الفعل قياسا على دخول فاء العطف وأداة التعريف على أحد ركنى الجناسين دون الآخر فى بعض الأمثلة المشهورة فى علم البديع

أما المتماثل منه فأمثلته فى القرآن الكريم متعددة ، نذكر الآن منها عددا ليرى القارئ البصير فيها رأيه . وما نظنه يخالفنا فيها كلها إن خالفنا فى بعضها . فمن ذلك قوله تعالى فى سورة الأنفال (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فإن رميت الأولى المنفية لا يمكن أن تكون بمعنى رميت الثانية المثبتة ، وإلا كان ذلك من التناقض المستحيل على القرآن . فلا بد أن تكون الأولى بمعنى أصبت وتكون الثانية على ظاهرها بمعنى رميت ، إشارة إلى قذف النبى صلى الله عليه وسلم الحصى أو التراب فى وجوه المشركين فى غزوة بدر وما كان من انهزامهم عقب ذلك . فالرمى بمعنى القذف هو من النبى ، والرمى بمعنى إصابة أعين المشركين حتى انهزموا هو من الله سبحانه . فاللفظ واحد والمعنى جد مختلف

وفى الحق أن هذا المثال يفتح بابا واسعا للجناس التام فى القرآن هو باب الآيات التى ينسب فيها نفس الفعل أو الشئ إلى الخالق سبحانه وإلى المخلوق فى وقت واحد ، إذ من الواضح أن المعنى لا يمكن أن يكون واحدا فى الحالين وإن اتحد اللفظ ؛ كما فى قوله تعالى حكاية لقول سيدنا عيسى يوم القيامة تبرؤا من أن يكون دعا الناس إلى عبادة نفسه وعبادة أمه من سورة المائدة (إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) فإن « نفس » هنا فى تكرارها ذات معنى يختلف فى الموضعين اختلافا كليا حسب نسبتها إلى عيسى أو نسبتها إلى الله سبحانه . وإن جاز أن يكون اختلاف الضمير المتصل مخرجا لهذا المثل عن تمام الجناس فى منطق اللفظين

وإذا عدنا إلى الأمثلة المألوفة وجدنا مثالا آخر فى أول سورة الرحمن فى قوله تعالى : (والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)

وعجيب أن يكون مثل الزمخشرى وقد فهم لفظ الميزان بمعنى واحد فى المواطن الثلاثة وإن توسع فيه فجعله يشمل كل معيار فى الكيل والوزن وغيرهما . ولكن القاموس يذكر من معانى الميزان العدل . وإلى هذا ذهب عدد من المفسرين فى الموطن الأول ففسروا «ووضع الميزان» بمعنى « وشرع العدل » كما فى روح المعانى للألوسى والتفسير المحيط لأبى حيان . وهذا يجعل الآيات الكريمة من الأمثلة الفريدة لتمام الجناس حتى ولو اتحد معنى الميزان فى الموطنين الآخرين : لكن الأقرب الأصوب أن يختلف معناه فى الآيات الثلاث ، فيكون فى الآية الأولى بمعنى الشرع الذى توزن به الأعمال والأحكام فى الجماعات ، ويشهد لهذا آية سورة الحديد: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) إذ من الواضح أن الميزان هنا لا يمكن أن يكون الآلة المعروفة بدليل «أنزلنا»، ودليل العطف على الكتاب ، ودليل الإطلاق فى قيام الناس بالقسط . هذا فى الآية الأولى . أما فى آية الرحمن الثانية فيكون الميزان على هذا مصدرا ميميا بمعنى الوزن أى التقدير والحكم . وفى القاموس من بين معانى الميزان أنه المقدار ، ومن بين معانى المقدار أنه القدر بمعنى القضاء والحكم . ويكون بمعنى

الآية الكريمة على هذا « ألا تطغوا فى القضاء والحكم » أما الميزان فى الآية الثالثة فبالمعنى المعروف . والنهى عن إخسار الميزان نهى عن الطغيان فيه ؛ لأن التعامل بالميزان عملية ذات طرفين إذا جونب القسط فيها كان ذلك طغيانا أو إخسارا حسب الطرف المنظور إليه

هذا هو الوجه فى فهم تلك الآيات الكريمة وتفسيرها تفسيرا يتفق مع الإحكام الذى وصف الله به آيات كتابه العزيز فى أول سورة هود

وهناك باب واسع من أبواب الجناس التام فى القرآن لم ينتبه إليه ، ألا وهو الجناس بين الحروف والأسماء المبنية فإن الحرف أو الاسم المبنى قد يتعدد معناه فى العربية ، فإذا ورد فى آية بأكثر من معنى كان ذلك من تمام الجناس . إلا إنه لقصر هذا النوع من الكلمات وقلة حروفه يشترط لتحقق الحسن البديعى شروط . يشترط مثلا الانفصال فلا تكون اللام فى الآية الكريمة من سورة الحجر : (قال لم أكن لأسجد لبشر) مثلا للجناس التام . ويشترط فيه التقارب فلا تكون ما الشرطية وما النافية فى الآية الكريمة (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ، وما للظالمين من أنصار) مثلا ظاهرا ، لطول الفاصل بينهما . فإذا ماتحرينا هذين الشرطين وجدنا من هذا النوع أمثلة غير قليلة . فما يتعلق بما من ذلك قوله تعالى :

« فلم ما ندرى ما الساعة » : سورة الجاثية

« ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به » : سورة المائدة

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله » سورة هود

فإذا ضممنا إلى الشطر الأول من هذا المثل ما سبقه فى نفس الآية وجدنا مثلا لطيفا لورود « ما » ثلاث مرات بثلاثة معان مختلفة : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت)

ومن الأمثلة التى تم الجناس فيها بورود « من » بمعنيين مختلفين قوله تعالى من سورة البقرة : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » فالأولى موصولة والثانية شرطية . وقد راعينا فى هذه الأمثلة الشرطين اللذين اشترطنا وتجنبنا مالم يتوفر فيه شرط الانفصال ولو فى الظاهر كما فى قوله تعالى من سورة البقرة : (فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) ففيه اتصلت ما المصدرية بالكاف . وكما فى قوله تعالى من سورة الكهف (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أو قوله تعالى : ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) فقد اتصلت من الاستفهامية بالفاء فى الآية الأولى ، وأدغمت من فى من الموصولة فى الآيتين فكانتا كالكلمة الواحدة فى النطق وفى الرسم . وإلا فهذا النوع فى القرآن الكريم كثير

على أننا إذا جعلنا اختلاف المعنى للكلمة المتكررة هو العمدة والفصل فى الجناس التام انفتح لنا منه باب آخر هو باب الكلمة يختلف معناها لا باختلاف نوعها كما فى الأمثلة السابقة ولكن باختلاف مرجعها والمراد منها وإن ظلت الكلمة هى هى فى حقيقتها . خذ مثلا إليك قوله تعالى « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » فى موضعها من سورة الرحمن . إذ المعنى فى الإحسانين ليس بواحد ، فإن الإحسان الأول هو من العبد فى العمل ، والإحسان الثانى هو من الله فى الجزاء . فالأول بمعنى الإتقان والإخلاص لله فى العمل ، والثانى بمعنى الإكرام وإجزال الثواب للعبد . فهو فى صميمه مثل فريد من أمثلة الجناس التام إذا أخذنا فى هذا بمقوماته وروح الحسن فيه

ومثل هذا قوله تعالى من سورة براءة : (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) فإن « أذن » الأولى غير « أذن » الثانية فى الدلالة وفى المعنى الذى تفيد أنه فى موضعهما من الآية . الأولى للذم أراده المنافقون والثانية للمدح أراده الحق سبحانه وأظهره بإضافتها إلى خير . كذلك يؤمن

الأولى غير يؤمن الثانية فى المعنى وإن جاء الفرق من اختلاف حرف الجر بعدها ، فإن الإيمان بالله غير الإيمان للمؤمنين . فهذا إذا أخذنا بالجوهر لا بالعرض مثل من أروع أمثلة الجناس التام

هذه صنوف من الأمثلة جئ بها على سبيل التوضيح لا على سبيل الحصر ، وسيختلف الحكم فيها وعليها باختلاف المعايير ، ولكن سيسلم منها على أى حال لجيع النظار على اختلاف المعيار مثل جديدة تنقض تلك القضية التى جرى عليها علماء العربية ومن بينهم صاحب الوسيلة الأدبية وصاحب الاتقان ، من ندرة الجناس التام فى القرآن

محمد أحمد الغمراوى

السليقـــــية
بين الفصحى والعـــــامية

للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

السليقية نسبة إلى السليقة : وهى السجية والطبيعة والطبع . وأكثر ما تستعمل السليقة فى الطبيعة الكلامية فاذا قالوا فلان يتكلم بالسليقة أرادوا أنه يتكلم أو يقرأ بطبعه لا عن تعلم

وتستعمل السليقة أحياناً فى غير الكلام فيقال (الكرم سليقته والسخاء خليقته) . أما إذا قالوا فلان سليقى بياء النسبة فلا يراد منه حينئذ إلا معنى نسبته إلى السليقة الكلامية وحدها ، ويقال كلام سليق . ويزداد معنى إرادة الكلام فى لفظ (السليقة) إذا ألحقت بها ياء المصدرية . حتى إذا قالوا السليقية سجية فلان لم يعد يفهم منها إلا الطبع اللغوى الذى نشأ عليه فلان فى بيئته : قال الأزهرى فاذا قرأ البدوى بطبعه ولغته ولم يتبع سنة قراء الأمصار قيل هو يقرأ بالسليقية أى بطبيعته وليس بتعليم . وفى حديث أبى الأسود الدؤلى أنه وضع علم النحو حين اضطرب كلام العرب وغلبت السليقية : قال صاحب اللسان فى تفسير هذه السليقية انها اللغة التى يسترسل فيها المتكلم على سليقته أى سجيته وطبيعته من غير تعمد إعراب ولا تجنب لحن

ومن هنا نستنتج أن السليقية مادامت لغة البيئة أى اللغة التى يسترسل فيها كل متكلم بطبعه — كانت السليقية ضربين (سليقية فصاحة) (وسليقية بذلة) وهى السليقية العامة . وإنما اخترت كلمة (البذلة) مشايعة للزمخشرى فانه استعملها فى عبارة له كما سيأتى

فسليقية الفصاحة أو السليقية الفصحى هى اللغة التى غلبت على لسان المتكلم بحكم البيئة البدوية : كالأعراب الذين ملكت الفصاحة ألسنتهم فلم يتطرق إليها الفساد : فهم لا يتكلمون بها إلا معربة واضحة المقاطع ومن دون أن يتكلفوا الإعراب أو تجنب اللحن . وأشهر شاهد على هذا الضرب من السليقية أعنى السليقية الفصحى قول شاعر البادية

(ولست بنحوى يلوك لسانه
ولكن سليق أقول فأعرب)

والضرب الثانى من السليقية ماسميته (سليقية البذلة) وهى سليقية العربى العامى فى لهجته التى غلبت على أهل مصر بعد انتشار الاسلام وقد مرت الاشارة إليها فى حديث أبى الأسود مذ قالوا إنه وضع علم النحو (حين اضطرب الكلام . وغلبت السليقية)

فالعربى العامى كالعربى البدوى : غلبت على كل منهما لهجته أو لغته بحكم تأثير بيئته ونشأته : الأعرابى ترك نفسه على سجيتها فاسترسل فى لغته الفصحى لا يلوى على شىء غير متكلف إعرابا ولا متجنب لحناً ، والعربى العامى السليقى البذلة يترك نفسه هو أيضا على سجيتها فيتكلم بلغة أمه ولهجة بيئته لا يتكلف إعرابا ولا يتجنب لحنا : البدوى

يعرب بحكم السليقية . والعامى يلحن بحكم السليقية . فليس الشاعر أو الراجز البدوى سليقى بقول فيعرب وحده بل إن الزجال الشعبى سليقى أيضا يقول فيلحن ولا يعرب بحكم السليقية . كلاهما سليقيان

بقى أن نورد شاهدا على السليقية الثانية (سليقية البذلة) أى على أن العربى العامى إذا استرسل فى لغته الملحونة صح أن يوصف بالسليقية وأن يقال إنه سليقى

عثرت على شاهد لطيف المغزى رقيق الحواشى أورده الزمخشرى فى كتابه (الفائق) تعليقا على مادة ظرف قال : ومن حديث معاوية رضى الله عنه أنه قال لجلسائه يوما : كيف ابن زياد فيكم : قالوا : ظريف على أنه يلحن . قال : أوليس ذلك أظرف له ا ه

قال الزمخشرى : وإنما استظرف معاوية ابن زياد لأن السليقية وتجنب الأعراب مما يستملح فى البذلة من الكلام قال : ومنه البيت المشهور :

(منطق صائب وتلحن أحيا
نا وأحلى الحديث ما كان لحنا[(١)])

فالزمخشرى استعمل السليقية بمعنى استرسال الظريف فى البذلة من الكلام . وليست البذلة فى الكلام الواردة فى عبارته إلا التبذل وعدم التصاون فى تحرى الفصيح المعرب . ومن هنا صح لنا استعمال سليقية البذلة فى مقابل سليقية الفصاحة

فاذا كان علماء اللغة خصوا البذلة والابتذال والباذل فى رث الثياب أو فى لبس المتهين منها فان شيخنا الزمخشرى لستعمله فى رث الكلام وعاميه والمبتذل منه

على أنهم يقولون فى فصيح اللغة (كلام مبتذل ومثل مبتذل) إذا كان كثير الاستعمال ملهوج الذكر . ولكن قولهم هذا لا يستدل منه على جواز وصف اللغة الملحونة بالابتذال . فالكلام المبتذل والمثل المبتذل إنما جاءهما وصف الابتذال من ناحية اللهج بذكرهما وكثرة الاستعمال لهما حتى لو قالها الحضرى البليغ أوالبدوى الفصيح سميا مبتذلين بمعنى أنهما متداولان لا لأنهما عاميان ملحونان وفرق بينهما

فالبذلة فى الكلام بمعنى العامية الملحونة إنما استفدناها مباشرة من عبارة الزمخشرى . وفوق ذلك كله فان اللحن فى البذلة السليقية إن أنكره بعضهم واستبشعه فان الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما استحسنوه وافتوا بجوازه بل نصح بعضهم بأن يستعمل الكلام الملحون فى مخاطبة المرء لغيره وفى تحديثه جلساءه لا فى ما عدا ذلك فقال (لا تستعملوا الإعراب فى كلامكم إذا خاطبتم . ولا تخلو منه كتبكم إذا كتبتم) كأنه يقول أوصيكم أن تعربوا كتاباتكم وتلحنوا فى محاوراتكم

ولعل هذه الوصية فى مراعاة الإعراب فى الكتابة وتركه فى المحاورة إنما استندت إلى ما وقع للفراء مع هارون الرشيد : ذلك أنه دخل عليه يوما وتكلم بكلام لحن فيه مع جلالة قدره وعلو رتبته فى النحو . فقال جعفر يا أمير المؤمنين إن الفراء قد لحن . فقال الرشيد أتلحن يايحيى ؟ (ويحيى اسم الفراء) فقال يا أمير المؤمنين ان طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضر اللحن : فاذا حفظت أو كتبت لم ألحن واذا رجعت إلى الطبع (أى فى محاورة الناس) لحنت . فاستحسن الرشيد كلامه

واعتذر صاحب صبح الأعشى للحانين فى الكلام مؤيدا الوصية المذكورة فقال إن اللحن قد فشا فى الناس . والألسنة قد تغيرت حتى صار التكلم بالأعراب عيبا . والنطق فى الكلام الفصيح عيا . والذى يقتضيه حال الزمان الجرى على منهاج الناس بأن يحافظ على الأعراب فى القرآن والحديث والشعر والكلام المسجوع وما يدون من الكلام ويكتب من الراسلات ونحوها . ويغتفر اللحن فى الكلام

(١) أورد الزمخشرى هذا البيت على أن اللحن فيه بمعنى الخطأ فى الإعراب . وهو أحد الرأيين فى البيت ، وهناك من يرى أن المراد من اللحن فيه التعريض لا الخطأ ، والتعريض هو أن تقول قولا يفهمه مخاطبك ويخفى على غيره

الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم يتداولونه بينهم ويتحاورون به فى مخاطباتهم . وعلى ذلك جرت سنة الناس فى الكلام مذ فسدت الألسنة وتغيرت اللغة . انتهى كلام القلقشندى وهذه المسألة أى مسألة استباحة اللحن والإخلال بالإعراب فى لغة المحاورة موضع نزاع كبير بين فضلاء العصر ولاسيما أساتذة الدارس والمشتغلين بتعليم النشء

وينبغى أن يزاد على المواطن التى عددها القلقشندى وحظر اللحن فيها من مثل المدونات والمراسلات — يزاد كلام المدرسين والمعلمين فى قاعات الدروس حيث يبسطون محاضراتهم تحت أسماع الطلاب . فلا يجوز بحال اللحن فيها ، ولا الإخلال بالإعراب فى ألفاظها ومبانيها : فإن الناشئين فى ليونة ألسنتهم وحساسية أدمغتهم قابلون للانطباعات والتأثيرات ، فإذا سمعوا الكلام الملحون المرة بعد المرة يوشك أن تفسد ملكاتهم وتستعجم لهجتهم

ويتصل ببحث استظراف السليقية فى الكلام الملحون بحث آخر فيه طرافة وله علاقة ببحث اللهجات وهو: هل يجوز للكاتب أو المحدث أن ينقل الكلام الملحون بنصه من دون تغيير ؟ والجواب عن هذا يعلم مما مر بالضرورة . أليسوا قد أجازوا التكلم بالملحون فلأن يبيحوا نقله أو روايته بالطريق الأولى . على أن أساطين الأدب العربى صرحوا بالترخص فيه بل بترك القول الملحون على اعوجاجه وقبيح أغلاطه

قال الجاحظ فى كتابه (البيان والتبيين) ومتى سمعت حفظك الله نادرة من كلام الأعراب (وقد عنى بهم أرباب السليقية الفصحى) فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها . فإنك إن غيرتها بأن لحنت فى إعرابها أو أخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير (٢) وإن سمعت نادرة من نوادر العوام (وقد عنى بهم أصحاب السليقية العامية) أو ملحة من ملحهم فإياك أن تستعمل لها الإعراب أو تتخير لها لفظا حسنا فإنك إن فعلت أفسدت الإمتاع بها وأخرجتها من صورتها التى وضعت لها وأذهبت استطابة السامعين إياها .

فالجاحظ يرى أن رواية الأقوال الملحونة والنوادر الملتوية اللهجة يستطيبها الجلساء ويلذون بسمعها وخاصة إذا كان اللحن (من الجوارى الظراف والكواعب النواهد والشواب الملاح) فإن ذلك يستملح فى كلامهن مالم تكن الواحدة منهن صاحبة تكلف فإن التكلفة للكلام الملحون تسمج ويتجافى عنها الطبع ويكثر هذا اللحن المستملح فى الأعجميات من النساء كالروميات والأرمنيات

أعجب ما أسمع منها فى السحر تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر
والسوأة السوآء فى ذكر القمر

وما قولكم فى أبى اسحق بن سيار النظام فإنه كان يلحن فى كلامه ويروى عنه صديقه الجاحظ كلامه الملحون ويعتذر عنه بل يسوغ له عمله : فقد روى فى كتابه الحيوان (جزء ١ صفحة ١٣٦) أنه خرج مع النظام ليلة فى بعض طرقات الأبلة فالح على النظام كلبٌ من شكل كلاب الرعاة فثبت له ولم يجزع وأقبل على الجاحظ يحدثه عن نفسه ويعدد خصاله إلى أن قال مانصه : إن كنت سبع فاذهب مع السباع. إلى آخر حديثه ؛ فعلق الجاحظ على هذا بقوله : لاتنكر (أيها القارىء) على حكايتى عن النظام بقول ملحون مذ قلت (إن كنت سبع) ولم (أقل إن كنت سبعاً)

ثم علل ذلك بقوله إن الإعراب يفسد نوادر المولدين كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب لأن سامع النوادر إنما أعجبته تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة ، فإذا ادخلت على هذا الأمر الذى إنما أضحك بخفه وعجمته حروف الأعراب والتخفيف والتثقيل وجولته إلى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء ، وأهل المروءة والنجابة — إذا فعلت ذلك انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته .

(٢) لعل الفضل هنا بمعنى واحد الفضول وهو زيادة فى الكلام لا خير فيها

ثم قال الجاحظ في مكان آخر : ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف : فإن كان موضع الحديث على أنه مضحك ومله وداخل في باب المزاح والتفكيه فاستعملت فيه الإعراب انقلب عن جهته وإن كان في لفظه سخف فأبدلت السخافة بالجزالة سار الحديث الذي وضع على أن يسر النفوس يكربها ويأخذ بأكظامها

ثم قفى الجاحظ على رأيه هذا بهذه العبارة الجريئة فقال (وبعض الناس إذا انتهى إلى ذكر كذا وكذا وعدد الجاحظ ألفاظاً يستحى من ذكرها) ارتدع وأظهر التعزز واستعمل باب التورع . وأكثر من تجده كذلك فإنما هو رجل ليس معه من العفاف والكرم والنبل والوقار إلا بقدر هذا الشكل من التصنع . ولم يكشف قط صاحب رياء ونفاق إلا عن لؤم مستعمل ونذالة متمكنة انتهى

أقول قد غلا الجاحظ في تهوين أمر كلمات الرفث والبذاء على الناس ؛ وأرى أن أستدرك عليه بما استدركه ابن قتيبة على نفسه وقد حام حول ما قاله الجاحظ فقال : ولم أترخص لك في إرسال اللسان بالرفث على أن تجعله هجيراك على كل حال ، وديدنك في كل مقال . بل الترخص منى فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض وأحببت لك أن تجرى في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في إرسال النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع ولا تستشعر أن القوم (يعنى السلف الذين ترخصوا بذكر الرفث) قارفوا وتنزهت ، وثلموا أديانهم وتورعت اهـ

ثم انتقل ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار) من رواية كلمات الرفث والترخيص بها بقدر معلوم إلى رواية الكلام الملحون من نوادر وملح ، وهو موضوعنا الذي كنا فيه مع الجاحظ فقال : وكذلك اللحن في الإعراب ان مربك في حديث من النوادر التي نرويها لك : لأن الإعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه وشاطر [1] النادرة حلاوتها قال : وسأمثل لك مثالا : قيل لمزبد (وهو رجل صاحب نوادر) وقد أكل طعاما كظه (أى ثقل على معدته) قى . فقال ما أقى ؟ أقى ؟ نقى ! ولحم جدى : مرقى طالق، لو وجدت هذا قياً لأكلته . ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وفيت بالإعراب والهمز حقوقها لذهبت طلاوتها ولاستبشعها سامعها

والمؤلفون في نقد الشعر كابن قدامة لم يغب عنهم حسن ما قاله الجاحظ وابن قتيبة : فهم على شدة تنطعهم في نقد الأقوال وتمييز زيوفها أجادوا رواية الملحون ، وحكاية السخيف من النوادر : قال ابن قدامة في كتابه نقد الشعر (وللفظ السخيف موضع آخر لا يجوز فيه غيره وهو حكاية النوادر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء فإنه متى حكاها الإنسان بغير ما قالوا خرجت عن معنى ما أريد بها ووردت عند مستمعها ا هـ

هذه هي كلمتي في السليقية بنوعيها : السليقية في القول الفصيح، والسليقية في البذلة من الكلام . والسليقية الثانية هي سليقيتنا نحن أبناء هذا العصر فقد ملكت علينا ألسنتنا كما ملكت لسان الفراء في عصر الرشيد حتى أصبحنا غير قادرين على التفلت من أوهاقها إلا بتكلف وتلكؤ شديدين . وذلك يكون منا إذا رأينا أنفسنا مضطرين إلى إفهام غيرنا ممن لا يفهم لهجتنا ولا ما يحكى بها : كما إذا حاورنا أبناء المغرب الأقصى أو حاورونا ، فإن لهجاتنا المختلفة تحول بيننا وبين الاستمتاع بحديثهم فنضطر إذ ذاك إلى ترك سليقية البذلة واللجوء في التفاهم إلى السليقية الفصحى وهي لغة القرآن وما أبركها لغة

وأكثر ما تتحقق هذه الضرورة أي ضرورة الالتجاء

(١) معنى شاطرها حلاوتها أنه ناصفها إياها فسلبها نصفها وأبقى لها النصف الآخر

٢ ـ كوليرج

للكاتب الناقد . اى . ل . كيلركوج

بقلم الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

وفى حزيران (يونيو) من سنة ١٧٩٤ زار كوليرج صديقه آرلن فى أكسفورد وتعرف هنـالك بالشاعر (روبرت ساوذى) . وقد كان روبرت هذا شـابا ناريا متحمسا فيه ميل شديد ونزعة قوية لاحتضان البـادىء العنيفة ومن هـذه المبادىء نشأت فكرة (البانتيسو كراسية [١]) بتأييد من أصدقاء سـاوذى ومساعدة من كوليرج . ويلخص كامبل هذه الفكرة فيما يلى : « اتفق اثنا عشر رجلا من المثقفين ثقافة جيـدة وممن لهم أفكار حرة مع من عائلهم من السيدات على الإبحار فى نيسان من هذا العام واضمين نصب أعينهم منطقة بديعة من مناطق أمريكا ، وكان المظنون أن عمل كل من هؤلاء الأشخاص لمدة ساعتين أو ثلاث سـاعات يوميا كان للقيام بأود (المستعمرة) . أما المنتج فهو ملك مشاع ، وكان المقرر أن تكون هنالك مكتبة عامرة ، وأوقات فراغ ملائمة ، لتخصيصها للدراسة والمنـاقشة وتربية الأطفال وفق خطة دقيقة معينة . كما أن واجب النساء كان يقتضى منهن التفرغ للاعتناء بالأطفال الرضع ، والقيام بأشغال لائقة أخرى . على أن ذلك يجب ألا ينسيهن تثقيف أذهـانهن وإنماء مواهبهن المتنوعة بالتتبع والدراسة والتفهم والممارسة فى كل شأن من شؤون الحياة العامة والخاصة [٢]) . أما الأمور الأخرى التى لم تقرر فى حينها فكان أهمها رباط الزوجية وهل فى الإمكان فصمه برغبة أحد الطرفين أو رغبة كليهما وكان من حق كل شخص أن يتمتع بكل حقوقه الدينية والسياسية إذا لم يكن فى ذلك اجتراء على الحقوق والقوانين المتفق عليها سـابقا) وقد حسبوا أن أى شخص يدفع (١٢٥) جنيها وله مالهم من الآراء الحق فى تنفيذ هـذا

(١) تعنى الكلمة المساواة وهى مذهب يدعو إلى المساواة فى الحقوق والواجبات والشاعية فى الملكية ، المترجم

(٢) من كلام المترجم

إلى لغة القرآن حينما نجتمع بإخواننا المسلمين الأعاجم الذين أصابوا ولو قليلا من الثقافة القرآنية أو الثقافة العربية : فإنه لا ينفس الكرب عنا وعنهم ويجعلنا ننعم بالحـديث معهم إلا لغة القرآن . ويظهر أن وسائل النشر والإذاعة والآلات والمواصلات وفرة دواعى الاجتماع والتلاقى بيننا وبينهم فى البعثات والمؤتمرات

كل ذلك يمهد الطريق أمام استعمال اللغة الفصحى بيننا فتقوى فينا ملـكة التكلم بها من حيث تضعف فى نفوسنا إلى حد محدود سليقية البذلة العامية

وإنما قلت إلى حد محدود : لأنه مادام هنالك اختلاف وتباين فى عقول أبناء الأمة الواحدة وقابلياتهم ومعارفهم وتفاوت فى ملـكاتهم وتربيتهم وثقافاتهم فلابد أن تبقى فيهم لهجة عامية عائشة بجانب اللغة الفصحى

على أن اللغة الفصحى مع الأسف مهما انتشرت وقام لها سوق فيما بيننا سوف تبقى عاطلة من حليتها ، مجردة من حركات إعرابها كما هى حالة لغة أهل (عكاء) فى اليمن على ما حكاه الشيخ عبد الرحمن الكواكبى للشيخ أحمـد الإسكندرى . ولله الأمر من قبل ومن بعد

عبد القادر المغربى

المشروع) . وبينما كانت (البانتيسوكراسية) فى دور المخاض المؤلم ، طافت فكرة طارئة فى ذهن كوليرج فتركها هكذا وسار مشيا على قدميه فى مقاطعة ويلز

وفى اليوم الثالث عشر من (بوليو) وصل إلى (ريكسهام) وهنالك عثر على مارى إيفانز بينما كان يتمشى بالقرب من نافذة أحد الفنادق فلمحها وهى تهبط السلم إلى الشارع مع إحدى أخواتها . وقد علق على هذه المقابلة غير المتوقعة بقوله : (هجم على المرض فجأة وكاد الإغماء أن يوقع بى شر هزيمة ، ولكننى ثالكت روعى وتمكنت من التراجع بسرعة) . ويظهر أن الأختين شاهدتاه (لأنهما سارتا أربع أو خمس مرات بجانب النافذة المطلة على الشارع كأن القلق كان يحز فى قلبيهما) . ولكن اللقاء لم يتحقق ، وهو لو تحقق لأدى إلى المصالحة على أكبر احتمال

فر كوليرج إلى (برستول) ولحق بصديقه ساوذى هناك مع عدد من البانتيسوكراسيين ومنهم كانت عائلة تدعى عائلة (فركر) . وقد تزوج ساوذى (أديث فركر) بينما تزوج كوليرج (ساره فركر) كما يقع ذلك بصورة فجائية بنتيجة الصدمات التى تصيب العاطفة الهائجة (فتحملها ترتمى فى أحضان أية امرأة يضعها القدر فى طريقها [٣]) . يقول كامبل (إن الزواج لم يعقد فى السماء وإنما قرر على الأرض وعلى يد ساوذى . إن السماء وحدها وليس أحباء كوليرج ، هى التى تعرف ما كان يحدث لو أنه اقترن بدوروثى وردزورث) ليس من حقنا أن نرجم بالغيب فى مثل هذه الأشياء ، وإن نحن حاولنا ذلك فلن نصيب إلا أنفسنا . أما إن التقاءه بها كان مؤخرا فهذا حق لا يمارى فيه أحد ، وكذلك كان الحال مع وليم وردزورث أخيها . وبعد أن مكثت عائلة كوليرج أمداً قصيرا فى (كليفندن) وبرستول تخللتها سفرة قام بها كوليرج وزوجه لجمع الاشتراكات لمشروع جريدة باسم (المراقب) ارتحلت هذه العائلة مع وليدها إلى (نيذر ستاوى) فى (سومرثت) لتكون بجوار توماس بوول ، الصديق الوفى والخل المخلص . وإلى هنا قدم وردزورث مع أخته الجميلة فى تموز عام ١٧٩٧ ، وقد لحق بهما بعدئذ تشارلى لامب وصل الجميع فى ضيافة كوليرج « وقد خلدت هذه الزيارة فى قصيدة (تحت ظلال شجرة الليمون) وبعد ذلك رجع تشارلى إلى لندن بعد مكوثه معهم لمدة قصيرة جدا ، بينما أقام وردزورث وأخته فى (الفوكسدن) على مقربة ثلاثة أميال من دار كوليرج ، وذلك بسبب الرابطة السحرية التى ربطتهما بعنف وقوة بكل ما له علاقة بكوليرج . وأخيرا حدثت المعجزة . قد يكون من الحق أن نقول إن كوليرج لم يبلغ مبلغ الإعجاز فجاءة ، لأنه سبق له أن طبع مجلدا من الشعر طبعة ثانية بعد أن نفدت الطبعة الأولى ؛ ولكن هذا المجلد لم ينبئ بما سيقع . أما وردزورث فكان يستوحى آلهة الشعر — إن جاز لنا أن نطلق كلمة (الوحى) على ناظم قصيدة (المجاورين) — ولكن العجب سيأخذ منا مأخذا شديدا ، لأننا سنجد هذا الناظم بالذات ينظم بعد حول فقط قصيدته العصماء (كنيسة تنيترن) فما كان غير محتمل وقع ، وما كان أملا تحقق . وقد غدا الأخ والأخت والصديق روحا واحدا ، كما شهد بذلك كوليرج نفسه . وفى وسط روح المحبة والأخوة وتحت تأثير دوروثى بصورة خاصة ، التى كانت وحدها صامتة هادئة ، وقانعة بالتشجيع والنقد والإعجاب والإرشاد ، أقول : فى وسط هذا الجو السحرى الرائع وجد كوليرج ووردزورث نفسيهما شاعرين مفردين بنغمات جديدة فى فجر جديد . وفى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر من اليوم الثالث عشر من تشرين الثانى شرع الأصدقاء الثلاثة يسيرون مشياً إلى (وجيت) فى طريقهم إلى الريف فى (اكسومر) وذلك لأداء ما بذمتهم من نفقات بواسطة بيع قصيدة ، عزم الاثنان على نظمها فى

(٣) من كلام المترجم

الطريق ! . وقبل انقضاء ثمانية أميال من سفرتهم هذه، فشلت خطة النظم المشترك ، وأخذ كوليرج على عاتقه نظم القصيدة بمفرده ، واستمر العمل فى ذلك حتى شهر آذار التالى . تقول دوروثى معلقة على ذلك : (إنه فى الثالث والعشرين من ذلك الشهر تناول كوليرج طعامه معنا ، وكان فى جعبته قصيدته (النوتى القديم) كاملة تامة

وكان الليل بديعا والقمر بازغا ، وكنا نشعر كأن النجوم والكواكب متحلية بزينتها احتفالا منها بمولد الكوكب الجديد) . ومن الحق أن نقول إن قصيدة (النوتى القديم) تضطرنا إلى التأمل والتفكير فى أحقية ما كان يدعو إليه رجال العصور الوسيطة من أن هناك انسجاما بين الشعر والسحر، وان (فرجيل) كان ساحرا . وكما قلنا قبل الآن يمكننا أن نفهم بمجهود يسير أن أغانى باولز — على ما هى عليه من شحوب ووهن وذبول — كانت تعنى فى فجر عام ١٧٩٠ غير ما تعنيه الآن . ولكن يمكن أن نتجاهل ظروف ولادتها ووقت بزوغها وما يتعلق بها من نظريات ، كما يمكن أن نتجاهل وردزورث ومقدماته وما كان بينه وبين كوليرج من مشادات ومنازعات . إلا أننا مع كل ذلك وحتى بعد مرور مائة سنة ، مجبرون على الاعتراف بأن قصيدة (النوتى القديم) هى تجربة الفن الكبرى ، والكوكب الذى اصطاده كوليرج وجلبه بيديه إلى (الفوكسدن) وأراه لدوروثى ووليم وردزورث . لأنه ليس فى مجالى الشعر الإنجليزى بأجمعه — وحتى لدى شكسبير — ما يجارى فى عبقرية لغتنا الغنائية تلك النغمات العلوية التى أنشدها كوليرج فى هذه القصيدة . . فموسيقاها جذابة سهلة ، جميلة فى تصورها وخيالها وإيقاعها ، وكلماتها تجرى مجرى السلسبيل العذب فى رقتها وخفتها ولطافتها . وقد تضم القصيدة بعض الكلمات الضخمة الثقيلة إلا أنها تقوم بدورها وتمضى بيسر وجمال وبراعة؛ فشكسبير — على علو كعبه وسمو منزلته — لم يتمكن من الإتيان بما أتى به كوليرج فى هذه القصيدة اللهم إلا ببعض النتف المتناثرة هنا وهناك ... إن فى هذه القصيدة لحن الملائكة وصوتهم العذب المرتل ، وكأنهم فى إنشادهم هذا جوقة سماوية تغنى ما يحلو لها من الأنغام الدينية أمام بوابة الفردوس فى غبش الفجر

وعلى الرغم من أن النقاد يعترفون بسحر هذه القصيدة وقوة تأثيرها وجمالها الفنى ، إلا أنهم مع ذلك يسفهون هذا الاعتراف ، وذلك لأنهم يصرون على التساؤل عن السبب الذى منع كوليرج من عدم اتباعها بقصائد مماثلة أو أن يكتب شيئا يضارعها .

وأخيرا لوى كوليرج رقبة إرادته النحيلة بتأثير الأفيون واشتد كابوس العادة عليه ، فأصبح — كما قال هازلت — رجلا يقدر على كل شئ إلا ما يمثل واجبا من الواجبات ! وقد تمكن مرة أو مرتين فى (كرستابل) و (قبلاى خان) أن يكتشف أجواء مقدسة ، ولكن إرادته لم تقو على الاستمرار فى التحليق فى مثل هذه الأجواء ، فانتهت قصته كشاعر فى محاولات متكررة غير مجدية لإتمام (كرستابل) . وكل هذا حق صراح ، أو على الأقل يمكن أن يكون مقنعا لأى شخص يحاول أن يستعرض مسألة شذوذ كوليرج

البقية فى العدد القادم

يوسف عبد المسيح ثروت

العروبة رابطة وهدف

للأستاذ عيسى الناعورى

فى العدد (١٠١٩) من هذه المجلة الغراء كتب الأستاذ على الطنطاوى إفتتاحية بعنوان (العربية والإسلامية) حمل فيها على فكرة العروبة وصلاحيتها لعالمنا العربى . ولسنا نشك أن الشيخ كان مخلصا فى دعوته ، وأنه كان يدافع عن عقيدة يعتقدها ويتعصب لها . ونحن نعذره لذلك ، ونرجو أن يلتمس هو أيضا لنا العذر إذا جئنا نخالفه فيما يراه ، ونسوق الأدلة التى تدفع ما أورده من حجج كان يعتقد أنها تستقيم بين يديه ، وهى فى الواقع أبعد ما تكون عن الاستقامة . وما دام الإخلاص للمبدأ والحقيقة هو رائد الشيخ ورائدنا فمن السهل أن نتفاهم ونصل إلى نتيجة يكون بها صلاح عالمنا العربى وبلادنا العربية

لقد وقف الأستاذ فى مقاله بين عاملين : أن ينظر إلى المليونين من العرب غير المسلمين الذين يعيشون فى البلاد العربية ويشاركون المسلمين فى قوميتهم ، أو إلى اللايين الثلاثمئة من المسلمين غير العرب الذين يشاركونهم فى عقيدتهم الإسلامية ، والذين يظهر لنا أن ضخامة الرقم الأخير قد هالت الشيخ ، فرأى أن مركز العرب — أو مركز الكتلة التى فيها العرب — يقوى بهذا العدد الهائل أكثر مما يقوى بالمليونين وحدهم . ولهذا بنى دعوته على هدم فكرة الوحدة العربية ، وإقامة الوحدة الشرقية على أساس العاطفة الدينية وحدها

ثم كان من الأمور التى اعتقد الشيخ أنه قد أصاب بها المرمى وهو يحاول هدم الرأى القائل بوجود (إرادة مشتركة) بين أفراد الأمة العربية ، أنه تساءل قائلا : « إذا قرأت أنا وعربى جبل لبنان المارونى تاريخ الغزوات الصليبية ، فهل يكون أثر هذا التاريخ فى نفسى مثل أثره فى نفسه ؟ »

بهاتين الملاحظتين تتلخص أقوى حجج الشيخ فى مقاله الطويل ذى الصفحات الست ، ولسنا نجد فى بقية المقال ما يستوجب الاسترسال إلى الإقتباس أو النقاش . فليسمح لنا بأن نقف عند هذا الحد لنجيب أولا عن سؤاله ، ثم نبين له ما حاول أن يتناساه من وقائع التاريخ البعيدة والقريبة مما فى نظرته الأولى

أنا لست مارونيا من جبل لبنان ، ولكننى مسيحى كموارنة لبنان وعربى فى حقيقتى وشعورى . وأستطيع أن أجيب عن سؤال الشيخ صادقا مخلصا أننى لست أقل منه نقمة وسخطا على الحروب الصليبية — بداية الاستعمار الغربى للشرق — وعلى الذين شبوها تحت ستار من الدين . ولست أقل منه سخطا على الدين نفسه — كل دين — إن كان من مبادئه أن يحل القتل والدمار فى سبيل السلطان والمنافع الدنيوية . ولست أيضا أقل منه سخطا ونقمة على الغربيين المستعمرين ومظالمهم المجرمة فى بلادى . ولا ينس الشيخ أنى أشترك مع هؤلاء المستعمرين اليوم ، ومع أجدادهم الصليبيين فى الأمس ، بالعقيدة الدينية ، ولكننى احتقرهم وأنقم عليهم بدافع من شعورى العربى القوى الذى أذلوه ولا يزالون يمعنون فى إذلاله

وهذا الذى أقوله هو ما يقوله كل مسيحى عربى واع . وأظن الشيخ يوافقنى فى أن قياس الحكم فى مثل هذه الأمور هو الإنسان المثقف الواعى وليس السواد الأعمى . ولهذا أرجو أن يكون هذا الجواب كافيا لإزالة ما بنفس الشيخ من هذه الناحية

أما أن الثلاثمئة مليون من المسلمين غير العرب أحق بأن يؤلفوا مع العرب وحدة كبرى ، فإننى أخالف الشيخ فيه كل المخالفة . ولست أظن الشيخ قد نسى « الشعوبية » — وهى لمنة أقدم وأدهى من الصليبية — وما جرته على الأمة العربية من خراب وذل ، مما لا تزال ترويه التاريخ بكثير من الخجل والمرارة . والشيخ لا يجهل أن الشعوبيين

هم من الجماعات غير العربية التى أفسح لها الإسلام من رحابه كرما ، ووسع لها فى كنفه تسامحا ، ولـكن إسلامهالم يمنعها من النقمة على العروبة — والعروبة منشأ الإسلام ومنبته الأول — فكانت هى أول العوامل على تقويض سـلطان العروبة والإسلام

ولست أرى فى موقف الشعوبيين ذلك ما يستحق المؤاخذة على الإطلاق ، فقد كانوا برغم وحدة العقيدة الدينية يشعرون بأن العرب أمة فاتحة ، احتلت بلادهم ، وجبيت إليها أموالهم ، وتسلطت على ممالـكهم تسلط الفـاتحين ، وعاملتهم فى عهد الأمويين معاملة الخدم والموالى ، فكانوا لذلك ينظرون إلى هذه الأمة الفاتحة — أو المستعمرة بلغة اليوم — بشعورهم القومى المعادى الحـذر ، تماما كما ننظر اليوم إلى المستعمرين الغربيين بشعور الـكراهية والعداء القومى

والذى حدث فى الماضى لدينـا منه نماذج فى حاضرنا المشهود — وهو فيما نرى شئ طبيعى جدا فى مفهوم القوميات . — فهذه تركيا ... جارتنا المسلمة — ترى أية رابطة يمكن أن تقوم بينها وبين سوريا — بلد الشيخ الطنطاوى العربية المسلمة ؟ — ألم تقطع من قلب سوريا جزءا عزيزا غاليا هو لواء الاسكندرونة الذى لا يزال كل سورى يحلم باستعادته ؟ وتركيا بهذا قد كسبت لنفسها نصرا قوميـا على حساب خسارة العرب القومية

ألم تتنكر تركيا لشعورها الدينى نفسه ولشعور العـالم الإسلامى كله ، فى عهد قريب جدا ، وتحارب اللغة العربية رغبة فى تنمية شعورها القومى ، وصيانة سيادتها القومية الـكاملة ؟ ثم ألم تتنكر تركيا المسلمة نفسها فى عهـدها الحاضر لـكل ما أجمعت عليه جاراتها العربيات المسلمات من محاربة إسرائيل — عدوة العرب وحدهم ، لا المسـلمين كلهم — ومقاطعتها ومحاصرتها وعدم الاعتراف بها ؟ وهل يذكر الشيخ لتركيا موقفا جديا واحدا فى تأييد أمانى البلاد العربية معاضدة قضية من قضاياها ؟

ويشهد الله أننى لا ألوم تركيا فى شئ من هذا ، فهى تعرف مصالحها السياسية والقومية ، وتعمل ما يناسبها بوحى من هذه المصالح وحدها ، ولـكننى أسوق هذه الأمثلة والحجج لأثبت للشيخ أن الدين وحده ليس بالرابطة التى تصلح لبناء وحدة الأمة ، فلعله يؤمن معى بأن (الإدارة المشتركة) موجودة بين أبناء العروبة أتم وجود ، بينما هى بين الشعوب الإسلامية ، كما هى بين الشعوب المسيحية والوثنية واللادينية أيضا ، إذا أمكن وجودها إلى حين ، فلا يمكن وجودها إلى الأبد ، ولا إلى وقت طويل ، لأنها روابط مصلحية وقتية لا شعور طبيعى

لست أنكر أن المسلم العربى يشترك مع المسلم غـير العربى فى الشعور الدينى ، كما يشترك المسيحى العربى مع الإنـكليزى أو الفرنسى أو الأمريكى مثلا بهـذا الشعور الدينى ، ولـكن هناك حقيقة كبرى لا يجوز أن نتجاهلها وهى أن المصالح القومية لن تتقيد فى يوم من الأيام بالشعور الدينى وحده ، فالمسيحى العربى ينظر إلى المستعمرين الغربيين ... وهم من دينه ... نظرته إلى أعداء بغيضين ، يتمنى أن تتيح له الأيام فرصة الثأر منهم لـكرامته القومية المهانة . وقد أثبت بالفعل فى كل مناسبة شدة عدائه لهم ، وفلسطين أقرب شاهد على هذا

إننى مع الأستاذ الطنطاوى فى أن الأمة العربية لم يوحدها ولم يكتب لها تاريخ المجد سوى الإسلام ، وأنا أعتز مع الأستاذ كل الاعتزاز بالإسلام وبهذا المجد الذى كتبه الإسلام للأمة العربية . فالإسلام مصدر فخر واعتزاز قومى لـكل عربى ، ولـكن « العروبة » التى خرج منها الإسلام لن تكون قط مصدر فخر واعتزاز لـكل مسلم غير عربى . وإذا كانت بعض الشعوب الإسلامية تشارك البلاد العربية فى شعورها وأمانيها فى بعض المناسبات ، فليس معنى هذا أنها ترغب مخلصة فى ربط حياتها ومصالحهـا السياسية والاقتصادية معها برباط واحد وإلى أمد طويل ،

شعر مختار

... وبقيت وحدى

للاستاذ إبراهيم محمد نجا

كان الضياء السمح يمرح بين أغصان النخيل
وأنا أ..ير مرنح الأشواق من خمـر الأصيل
متلفعا بالنور آونة ، وبالظـل الظليـل ...
وكما أتى ، ذهب الأصيـل ، كأنه نغم جميـل
فتسلق النور الذرى مترقبا وقت الرحيـل
حتى إذا وفـد المغيب طواه فى صمت جليل
فمضيت لا أدرى لأية غاية ، ولأى قصد !
فلقد مضى عنى الأصيل بنوره .. وبقيت وحدى

* * *

وأتى المساء ، فهللت روحى لأسرار المساء
ومضت تهيم ، وملؤها ظمأ إلى نبع الخفـاء
مسحورة بالصمت يرسل لحنـه ناى الفضاء
مسحـورة بالغيب يدعوها ويمعن فى الدعاء
حتى إذا انتفضت ، وكاد السر يدركه الرجاء
ذهب المساء كأنمـا ارتفعت به أيدى السماء
فمضيت لا أدرى لأية غاية ، ولأى قصد !
فلقد مضى عنى المساء بسره .. وبقيت وحدى

* * *

ولـكن مصالحها الحالية ، وكلها شعوب ضعيفة يعيث فيها النفوذ الأجنبى المجرم ، تدفعها إلى أن تقوى مركزها بأية وسيلة ممكنة ، وبالتعاطف بينها وبين أية كتلة من الشعوب الأخرى ، القريبة منها والبعيدة ، التى تشترك معهـا فى الـكفاح لأجل الحرية ، تماما كما فعلت فرنسا وبريطانيا فى الحربين العالميتين الأخيرتين وإلى الآن ، على الرغم مما يتذكره كل بريطانى وكل فرنسى فى تاريخ الأمتين من حروب وعداوات طويلة الأمد

أفلا يؤمن معى الأستاذ الطنطاوى إذن بأن الأقرب إلى العقل والمنطق السليم هو أن تقوم « الأمة العربية » على وحدة الشعور ، والتاريخ ، واللغة ، والتقاليد ، قبل أن تقوم على رابطة الدين وحدها

وهذا لا يمنع من أن ترتبط هذه الأمة الواحدة ، ذات الإرادة المشتركة الواحدة ، والتاريخ الواحد ، واللغة الواحدة والتقاليد الواحدة ، برباطات التكتل الدولى والصداقة مع سائر للشعوب التى تجمعها بها دوافع الـكفاح للتحرر من سلطان المستعمرين — سواء أشاركتها فى الدين أم خالفتها فيه — لأن هذا يدخل فى باب « المصلحة الوطنية » لا الشعور القومى المشترك ؛ وهو يقوى من مركزها فى كفاحها ضد الظالم

بعد هذا أود أن يعلم الشيخ أنى لست أدافع عن عقيدة حزب معين ، فلست من المنتمين إلى الحزب الذى يقول حضرته بلهجة الاحتقار أنه « قد ألفه فى عهد الفرنسيين أحد شباب النصارى » — وهو يقصد حزب البعث العربى ومؤسسه ميشيل عفلق — ولـكننى واجـد من الذين يتعصبون للعروبة عن عقيدة واقتناع ، ويؤمنون بأنها الوسيلة الوحيدة لوحدة الأمة العربية ، ولإقامة تاريخ جديد ، على أسس من المنعة والرفعة والـكرامة ، لهذه الأمة العربية التى أشترك أنا والشيخ فى الانتساب إليها والاعتزاز بها ، برغم اختلافنا فى الدين ؛ هذا الاختلاف الذى جاءنا بحكم الولادة والأسرة ، وليس للشيخ ولا لى أية فضيلة أو يد فى اختياره

عيسى الناعورى

ولـكم بدا ما أرتجيه ، وكم توارى بالحجاب
ولـكم أتى ما أشتهيه ، وآب مبـكى الإياب
حتى الذين نسيت عند لقائهم ذكرى عذابى
صحبى، ولم أعرف أعز من الحياة سوى الصحاب
ذهبوا كما ذهبت أمانى النفس فى فجر الشباب
وبقيت أحيا بعـدهم مثل المحير فى الضباب
أمضى ولا أدرى لأية غاية ، ولأى قصد ؟
فلقد مضى عنى الصحاب كما أتوا وبقيت وحدى!

***

حتى التى غنى بها قلبى ، فغناها الوجود
ومنحتها ما تشتهيه من الحيـاة ، وما تريد
نسيت غرامى ، حين طاف بقلبها حب جديد
يا هـذه : كيف استباح الحب أفاق طريد ؟
وعلام أجنى الشوك فى حبى، ومن غرس الورود؟
وعلام أذهب فى الحياة كأننى نغم شريد؟
أمضى ولا أدرى لأية غاية ، ولأى قصد ؟
فلقد مضى عنى الحبيب بحبه ... وبقيت وحدى

***

وأرى الشباب ، ربيع أيامى ، يقارب أن يضيع
فتموت فى قلبى الحياة ، وقد خبا وهج الربيع
وأحس عمرى زهرة جفت على أيدى الصقيع
فأظل مطوى الضلوع على أسى يفرى الضلوع
أتذكر العهـد الذى ولى وليس له رجوع
وأعيش .. فى روحى كآبات ، وفى قلبى دموع
أمضى ولا أدرى لأية غاية ، ولأى قصد ؟
فلقد مضى عنى الشباب بدفئه .. وبقيت وحدى!

***

يا ويح قلبى ، حين يقبل فى غد شبح الفناء
وأنا المعذب فى الحياة ، أظل أرغب فى البقاء!
لـكن إذا نزل القضاء ، فلا مفر من القضاء
هـذا أنا ... نعش يسير مشيعا بالأصدقاء
هذا أنا ... جـدث تمر عليه أقدام العراء
هذا أنا ... جسد يعود إلى الثرى ، من حيث جاء
هذا مصيرى ! بل مصير الناس من قبلى وبعدى !
فعلام أجزع إن تخطفنى الردى ، وبقيت وحدى ؟

إبراهيم محمد نجا

إليهـــم ...

« إلى إخوتى المهاجرين زفراتى وأناتى »

للأستاذ هارون هاشم رشيد

ومهاجرين معفرين على دروب التيه هاموا
يمشون والأقدار كابية فما فيها ابتسام
أقواتهم ماذا ؟ وكيف ؟ فليس عندهم وطعام
هم هؤلاء بقية الشعب الذى عرف الأنام
ذاك الذى بالأمس أشعلها فشب لها ضرام
شعواء دامية يردد رجمها الجيش اللهام
قال السلام وكيف يبلغها على يده السلام
والذئب يفتك بالقطيع إذا تولاه الظلام

***

هذى الخيام ، ألا ترى ضاقت بمن فيها الخيام
لا. لا يروعك السقام فلن يحطمها السقام
لا . لن يضير عقيدة من أجلها صلوا وصاموا

غزة هارون هاشم رشيد



رأى كاتب أمريكي في أدب الولايات المتحدة

قال الكاتب الأمريكي (بن لوسيان بورمان) ماملخصه:

رصدت الأدب في الولايات المتحدة منذ ١٩٣٠ فوجدته ينمو ولكن إلى ضعف، ويتقدم ولكن إلى هاوية. فالسخف والسطحية والفجاجة والدعاية والمسخ حلت محل الفن والعمق والجمال والجودة. ومن النادر الأندر أن تجد قطعة فنية ترضى ذوقك وعقلك. فان القصصي الحق يجب أن يجمع بين المخبر البارع والشاعر المصور، ولكنا لا نجد في الكثير الأغلب إلا نثرا سخيف الأسلوب ومخبرا ضعيف الملاحظة. والقصة الجيدة يجب أن تكون سمفونية؛ ولكنا لا نسمع اليوم إلا لحن (البوجى بوجى). والقارىء العابر إذا لم يجد الخيال الذي يعكس حياته، والقصص الذي يصور شعوره، انصرف إلى قصص البوليس أو إلى تراجم الأشخاص. ولعل هذا عرضا من أعراض الشك الذي نعيش فيه من جراء هذه الحروب الثلاث التي تركت الناس بغير أمل ولا يقين. فمستوانا مبهم، وعقائدنا جامدة، وبلادنا (يريد أمريكا) سيطرت عليها البدع والهوايات. وأدبنا تقليعة من أقبح (التقاليع) لأنه لا يقوم على أساس فنى متين. فهو يتجه اتجاها جنونيا إلى المسائل الجنسية والشؤون الحزبية، ويحرص على انتاج الأسفار الكبيرة؛ وهذه الأسفار الكبيرة هي التي بلغت بالانحطاط الأدبي إلى مداه. واللوم كله واقع على الذين يكتبون لا على الذين ينشرون. والكتاب في أمريكا طوائف متنوعة كل طائفة تحمل نصيبا من المسئولية. فطائفة تتبع الكاتبة المسرحية المرحومة جرترود ستين بأمانة وإخلاص. وطائفة من صعاليك المجتمع الأدبي يظنون أن الدفاع عن قضية من القضايا يكفي لإنتاج عمل أدبي عظيم. ومع ذلك فان الفن هو الفن، والدعاية هي الدعاية ولا يستطيع أدب الصعاليك أن يكون أدبا بالمعنى الصحيح. وهناك طائفة ثالثة وهم الواقعيون الذين يلقون من أيديهم ريشة الفنان ليقبضوا آلة التصوير، ناسين أن الشرط الأول لكل فن هو الانتخاب. وأنا كفنان أحتج على مبدأ: القبح للقبح

إن د. ه. لورنس كان عبقريا، وإن من قصصه مابلغ حد الكمال. ولكن الذين يعالجون اليوم المسائل الجنسية كما عالج نسبة عملهم إلى عمله كنسبة مؤلف قصة بوليسية إلى أناطول فرانس مؤلف جريمة سلفستر بونار. وهناك الذين أدخلوا التحليل النفسي في القصة فزادوا الطين بلة والأمر ارتباكا، وشر من هؤلاء جميعا أولئك الكلبيون من أعضاء جماعة النقاد بنيويورك الذين أقاموا أنفسهم بالادعاء والسفسطة أوصياء على الأدب فأشادوا بما لا ينبغي ونوهوا بمن لا يستحق. ولم يعلموا أن ملكة النقد آلة دقيقة حساسة إذا ضعفت بسوء الاستعمال فلا تغير ولا تجدد. ولعل أساس هذه البلبلة التي أصابت الذوق في الولايات المتحدة هو الثورة التي تمت بالتدريج في هذا الصدد؛ فإننا أحللنا محل الموضوعية الإنجليزية والفرنسية ذلك التأمل الباطني الغريب على الذهن الألماني والروسي

فالأدب الأمريكي تكون تحت تأثير مؤلفين كديكنز وثكرى وجالسورثى من الإنجليز، وميرميه ودوديه وموباسان من الفرنسيين؛ وهؤلاء الكتاب كانوا يرون الصفات الجوهرية في القصة هي الشمائل والجو والحبكة. وفي آخر الحرب العالمية الأولى استولت خيبة الأمل على الكتاب الأمريكيين فظهرت فيهم نماذج صغيرة من ترجنيف وتشيكوف. فالروح المرحية التي تنشأ عن الفهم العميق واللمس الرقيق الدقيق أصبحت في أمريكا محرمة كالمنة. والخالقون الموضوعيون الذين جعلوا دستورهم - الفن للفن لم يبق لهم وجود هنا. وهؤلاء الكتاب

الـكلبيون لم يعد فى معاجمهم لفظ واحد للجمال ولا للفن . فنحن فى حاجة إلى آلهة جدد ، وإلى دين أدبى جديد ؛ لأن الدين الأدبى الحاضر دين الحقارة والفجاجة والضحول يحمل فى طواياه الجرائم التى ستدمره . إن الأدب بغير جمال لا يلبث أن يذوى ويموت

آراء المعاصرين فى فكتور هوجو

وجهت صحيفة الفنون الباريسية إلى بعض كبار الأدباء الفرنسيين أسئلة عن مدى تأثير هوجو فى الكتاب المعاصرين . وقد دلت الأجوبة التى نشرتها هذه الصحيفة على زهو أصحابها وادعائهم . فبعضهم أصدر حكمه بلهجة تنم عن استخفافه بكبير شعراء فرنسا . والبعض الآخر لم يخرج فى أجوبته عن حد النكتة . بيد أن اندريه برتون زعيم المذهب السوريالى أجاب بصورة جدية فقال : ان أهم حركة وجدانية فى الشعر الفرنسى تستمد قوتها من شعر هوجو ، كما أن الحركات الاصلاحية التى قام بها (كانت) لا تزال القاعدة التى يسير عليها كبار الكتاب والشعراء . وفى رأيه ان كثيرا من شعر هوجو يعبر عن أهداف المذهب السوريالى أصدق تعبير . ثم أردف قائلا : «سئل مرة اندريه جيد من هو أعظم شاعر فرنسى ؟ فأجاب: فكتور هوجو» وكان جواب (بليه سندر) ان فكتور هوجو أقدر رائد عرفه الأدب .

لقد كان فى أوائل هذا القرن بقية من أتباع الأدب الرمزى لا يستسيغون الشعر الابتداعى ولا يطيقونه ، منهم ريمى جورمون واندريه سواريه . فقد كانا يمقتان قوة هوجو البيانية ، كما كان بجوى وروماں رولان يترعمان طائفة من محبيها . وكان أناطول فرنس يبتسم كلما ذكرت أمامه منتجات هوجو المسرحية ، ولكنه كان من أكبر ممجديه . وقال جان كوكتو فى جوابه : إن هوجو مجنون بصورات فكتور هوجو . وعلى الرغم مما فى هذا الجواب فانه قال ان استحسان الأعمال الكبيرة أو استهجانها أمر من أسهل الأمور . ثم استطرد يقول: نحن ننظر إلى الأعمال الثانوية بكثير من التدقيق للوقوف على ما فيها من جيد أو ردىء . أما أصحاب الأعمال العظيمة كشكسبير ودانتى وجوته وهوجو وأشباههم فإما أن نحبهم فنحول سيئاتهم حسنات ، واما أن نكرههم فنجعل حسناتهم سيئات

ومن الطبيعى أن يوجد بين شبان اليوم من لم يقرأ هوجو ، ولا يشعر بحاجة إلى هذه القراءة ، لأنه يجد بين كتاب عصره من هو أقرب إليه وأقدر على وصف بيئته وحوادث حياته . أما أن يقول أديب مثل جول رومان ، فى جوابه عن السؤال الذى طرح عليه ، إن هوجو كان كثير الانشاد ، وأنه لم يقرأه إلا فى حداثته ، فهذه حذلقة لا تطاق

مع جول رومان

سأله محرر إحدى الصحف الأدبية الفرنسية هذه الأسئلة فأجاب هذه الأجوبة

س : أى شئ يسبب لك الشقاء ؟ ج : الحرب .

س : أين تحب الإقامة ؟ ج : فى منزلى .

س : ما هى السعادة التى تنشدها فى حياتك ؟

ج : أن أشتغل بسلام .

س : ما هى الهفوات التى تستحق عفوك ؟

ج : فضول إحدى الصحافيات .

س : من هم أحب أبطال الروايات إليك ؟

ج : أولئك الذين استطاعوا أن يؤثروا فى

س : ومن بطلات الحياة الواقعية ؟

ج : تلك التى تقف حياتها على تربية بنيها

س : من أحب رجال التاريخ إليك ؟

ج : كلهم من أبغض الناس إلى

س : ومن أحب بطلات الروايات إليك ؟

ج : ثلاث أو أربع من نساء شكسبير

س : ومن أحب الرسامين إليك ؟
ج : نحو عشرين ولكن حسب اليوم والساعة
س : ومن أحب الموسيقيين إليك ؟
ج : جان سابسطيان بخ
س : ما هى الخلة التى تفضلها فى الرجل ؟
ج : سمو الخلق
س : وفى المرأة ؟ ج : الخلة نفسها .
س : وماأحب الفضائل إليك ؟ ج : الإخلاص .
س : وأحب الأعمال ؟ ج : الاختراع .
س : ماذا تود أن تكون ! ج : هذا سؤال غريب
س : ما هى أبرز مزاياك ؟
ج : أرجو أن تسأل عنها خصومى .
س : ماذا يرضيك من أصدقائك ؟ ج : الأمانة
س : ما أظهر عيوبك ؟
ج : أرجو أن تسأل عنها أصدقائى .
س : أى عمل تفضله على غيره ؟
ج : ذاك الذى يثير حماستى ويسرنى
س : أى الألوان أحب إليك ؟
ج : كلها مجتمعة ، أو كل على حدة
س : وأحب الأزاهير ؟
ج : كلها ، أو كل منها فى فصله الخاص .
س : ومن أحب الكتاب إليك ؟
ج : أولئك الذين ساعدونى على فهم العالم
س : ومن أحب الشعراء إليك ؟
ج : أولئك الذين لم أطلع على تاريخ حياتهم .
س : وماأحب الاسماء إليك ؟
ج : نصف أسماء التقويم العام .
س — وما أبغض الأشياء عندك ؟ ج : البلاهة
س : وما أهم الأعمال الحربية فى نظرك ؟ ج : فردان
س : ماذا تريد أن تملك من مواهب الطبيعة ؟
ج : تلك التى لا أملكها ولا أعلم ما هى

س : كيف تشتهى أن تموت ؟ ج : فجأة
س : ما هى حالتك الروحية الحاضرة ؟
ج : لا تسعها المجلدات

توزيع السكان فى الشرق الأوسط

ننشر فيما يلى جدولا بتوزيع السكان فى بلدان الشرق الأوسط نقلا عن تقرير منظمة الأمم المتحدة عن الاقتصاد العالمى :

محمية عدن — المساحة ٢٧٢ ألف كيلومتر مربع . السكان ٦٥٠ ألفا . كثافة السكان ٢ بالكيلومتر المربع

أفغانستان — المساحة ٦٥٠ ألف . السكان ١٢ مليونا الكثافة ١٨

المملكة العربية السعودية — المساحة ١٥٤٦ ألف ك . السكان ستة ملايين . الكثافة ٤

قبرص : المساحة ٩ . السكان ٤٧٦ ألفا . الكثافة ٥٣

مصر — المساحة ١٠٠٠ ك . السكان ٢٠ مليونا و ٤٥ ألفا الكثافة ٢٠

العراق — المساحة ٤٣٥ . السكان أربعة ملايين و ٨٠٠ ألف . الكثافة ١١

إيران — المساحة ١٦٣٠ . السكان ١٨ مليونا و ٣٨٧ ألفا . الكثافة ١١

الأردن — المساحة ٩٠ . السكان ٤٠٠ ألف . الكثافة ٤ بدون اللاجئين

قطر — المساحة ٢٢ ، السكان ٢٠ ألفا الكثافة ١

الكويت — المساحة ٢٢ ، السكان ٢٠ ألفا الكثافة ٨

لبنان — المساحة ١٠ ، السكان مليون و ٢٣٨ ألفا الكثافة ١٣٢ بدون اللاجئين

عمان ومسقط — المساحة ٢١٢ ، والسكان ٨٣٠ ألفا ، الكثافة ٤

عمان (تحت نظام المعاهدة) — المساحة ١٥ ، السكان ٨٠ ألفا ، الكثافة ٥

مسرح وسينما

مسرحية «أم رتيبة»

تأليف : الأستاذ يوسف السباعي   إخراج : فتوح نشاطي
تمثيل : الفرقة المصرية

للأستاذ علي متولي صلاح

الإنسان — منذ كان — يتقلب بين الفرح والترح ، وتمتوره السراء والضراء ، وللجد عنده — كما يقول الشاعر — أوقات وللهزل مثلها ، وحياة موزعة بين هذين الأمرين ، ولن يستقيم لإنسان — مهما كانت الظروف التي تشتمله وتحيط به — واحد منهما دون الآخر

ولما كان المسرح — كما هو معلوم — صورة من الحياة وتعبيرا عنها وتفسيرا لها ، تعطيه الحياة فيأخذ ، وتمده بالصورة فيعبر ، كان — هو الآخر — متقلبا بين الفرح والترح ، والسراء والضراء .. ومنذ الأزمان السحيقة كان إلى جانب « التراجيديات » الفاجعة « كوميديات » هازلة ضاحكة ، وقد عرفها اليونان الأقدمون وكان لهـا فيهم شعراء أعلام ما زال المؤلفون ينهلون منهم حتى اليوم ، مثل (أرستوفان) ، (فيلامون) ، (ميناندر)

وقد عرفت الكوميديات الهزلية في مصر منذ أمد ليس بالقصير ، وكان لها مسارح خاصة ، وممثلون يقومون بأدائها ولا يشاركون في أداء غيرها ، وكتاب يكتبون لها ويكادون يقتصرون عليها

وليس شيء أكثر ذهابا في الضلالة عندي من الرأي الذي ينادي بأن تقصر العناية على الجوانب الجادة في حياة الناس دون الجوانب الهازلة الضاحكة . إن ذلك خطر يجب أن يتنبه إليه المسئولون ، فالسم أكثر ما يكون خفاء عندما يندس في العسل ، والنفوس يستهويها النكتة وتأخذها الكلمة الضاحكة فتتسرب خلالها الحكمة والموعظة في لطف ويسر وخفاء لا يكون في الكلمات الجادة الصارمة ! والمسرحية التي جعلناها موضوع حديثنا اليوم من المسرحيات الكوميدية التي تعرض على الناس هذه الأيام ، وأعني بها المسرحية المسماة « أم رتيبة »

وهي تقوم على قصة أخوين : رجل وامرأة ، أما الرجل فقد كان يشتغل مدرسا للخط العربي ثم أحيل على المعاش ، فاشتغل بتحضير (الأرواح) وانهمك فيه وجمع حوله بطانة من محبيه ومريديه يعقدون بين الفينة والفينة (جلسة) لتحضير الأرواح والتذاكر في أحوال الدنيا والآخرة ، ولتبادل الآراء في فلسفة الحياة وما بعد الحياة . واسم هذا الرجل (عبد الصبور) وقد قطع حياته عزبا ، وكان يرى أن الزواج هو سبب الشقاء والبلاء وسبب خراب البلاد والعباد !

وأما المرأة فهي « أم رتيبة » التي كان أخوها هـذا عائقا دائما لها دون الزواج ، فقد خطبها الكثيرون فأباهم أخوها ورفضهم جميعا لما كان يراه في أمر الزواج ، فقطعت حياتهـا هي الأخرى عزبة حتى بلغت الخامسة والأربعين وهي بين الحسرة والأسف واللهفة على الزوج الحبيب ، والولد النجيب !

وكان لهما جار اسمه « سيد افندي » يشتغل خبيرا فنيا

فلسطين العربية — المساحة ٥ ، السكان ٥٣٠ ألفا الكثافة ١٠٦ بدون اللاجئين

السودان المصري — المساحة مليونان و٥٠٦ ، السكان سبعة ملايين و ٥٥٨ ألفا ، الكثافة ٣

سورية — المساحة ١٨٧ ، السكان ثلاثة ملايين و ٤٣٥ ألفا ، الكثافة ١٨ بدون اللاجئين

تركيا — المساحة ٧٦٧ . السكان ١٩مليونا و ٦٢٣ ألفا . الكثافة ٢٦

اليمن — المساحة ١٩٥ ، السكان أربعة ملايين و ٥٠٠ ألف ، الكثافة ٢٣

فى معمل « طرشى » ! جاء يخطبها من أخيهـا « عبد الصبور » الذى ما كاد يعلم صناعته حتى طرده شر طرد لما كان بينه وبين « الطرشى » — كما يقول — من عداء قديم مستحكم ! ثم مات أخوها فانكشفت الغمـة وزال العائق الثقيل وتزوجت « أم رتيبة » من « سيد أفندى » على يد (مأذون) صديق من مريدى أخيهـا « عبد الصبور » ومحبيه

وقد كتبها المؤلف (الأستاذ يوسف السباعى) باللغة العامية ؛ لأنه يرى أنه « من الجنون أن يحـاول إنطاق أبطالها باللغة العربية » وللمؤلف فى ذلك بواعث وأعذار ! أما البواعث فهى أنه متغلغل فى فهم الروح الشعبية واللغة العامية تغلغلا قل أن توفر لغيره ، فهو يجد يسرا وسهولة فى الأداء باللغة العامية قد لا يجدها فى الأداء باللغة العربية ! وأما الأعذار فإن أبطال الرواية — أو أغلبهم على الأصح — من عامة الشعب الذين لا تجرى اللغة العربية على لسانهم فى شئ ، فكان من كمال « الواقعية » — فى نظر المؤلف — أن يكون كلامهم باللغة العامية ! وجو الرواية — كذلك — جو شعبى خالص ، لا يبدو فيه الكلام العربى إلا كما تبدو الرقعة فى الثياب ! هذه بواعث وأعـذار المؤلف — على ما يبدو لى — فى استعمال اللغة العامية ، ولكنى نظرت فوجدته يخاطب الخـادم « زينهم » المسرف فى الشعبية بقول أبى نواس (وداونى بالتى كانت هى الداء) ، ويخاطب الخادمة « سنية » بقول أبى العلاء (هذا جناه أبى على) فكيف تسنى لهما أن يفهما ذلك وهما أقل أشخاص الرواية علما وإدراكا ؟ ووجدته يجرى فى الرواية عددا من الألفاظ العربية الفصيحة مثل قوله « المصل الواق » ، « حاجة تبدد الإيمان » ، « الدنيا سفر والآخرة غاية » وغيرها ، فكيف أمكن أن نفهم هذه العبارات فى الجو الشعبى الذى انحدر من « حوش آدم » ؟ أنا لا أشـير باستعمال اللغة الفصيحة العالية الجزلة على المسرح ، ولكنى أريد الحلقة المفقودة عندنا ، أريد اللغة العربيـة اليسيرة السهلة التى لا يفصلها عن العامية إلا حاجز رقيق لطيف ، واعتقادى أن الأستاذ يوسف السباعى — وقد بلغ فى فهم اللغـة العامية والروح الشعبى مبلغا بعيدا — يستطيع بشئ من الجهد والدأب والمشقة أن يجئ لنا بهذه الحلقة المفقودة

والأستاذ يذكر لنا أن هذه المسرحية أول محاولة منه فى كتابة المسرحية ، فإن كان الأمر كذلك ، فإن الأمل المرقوب منه كثير .. إن الموهبة مكتملة فى المؤلف دون شك ، وإنما تنقصه فى معالجة « المسرح » أمور أرجو أن يتوفر على استكمالها ، وأنا أهمس إليه ببعض ما فى مسرحيتنا هـذه من تلك الأمور ، فإنى أرى فيه بوارق وضاءة من أمل كبير

أراه يوزع الحوادث والكلام على الفصول توزيعا غير عادل ! وأنا أعلم أن الحوادث قد تقتضى المؤلف شيئا من ذلك ، ولكننى أعلم كذلك أن المؤلف القادر هو الذى يحكم هذه (الحوادث) ويطوعها لقلمه ولتصرفه ! فالفصل الأول كبير مزدحم ، والفصل الأخير صغير متخاذل ، والفصل الثانى بين بين !

وأراه يعنى — أكثر ما يعنى — بإيراد النكتة تلو النكتة ، والأصل فى المسرحية أنها « موضوع » والنكتة فيها ثانوية لا يجوز لها أن تطغى على الموضوع الأصلى الذى هو « مركز الاستشارة » كما يقول فقهاء المسرح

وأراه يكثر من الحكايات الجانبيه التى تقع فى المسرحية كما تقع (الجملة المعترضة) فى الكلام ! والإكثار من هذه الحكايات — فوق أن فيه تعطيلا لحركة المسرحية — فهو يصرف المؤلف عن الاهتمام بالموضوع الأصلى الذى يجب أن يكون له المحل الأول دائما ، وقد أورد المؤلف من ذلك حكايات طويلة كحكايات « المزتين » وحكاية « البنت هانم » صديقة الشيخ جاد وسواهما .

وأراه « يرشح » لبعض الحوادث بكلام سافر يدل عليها قبـل وقوعها ! مثل « إرهاص » أم رتيبة بقدوم الضيف فيقدم الضيف بعد إرهاصها ومثل إرهاص « سيد

أفنـدى » بأنه سيموت وتوكيده ذلك وتوديعـه لأهله وصعوده إلى السرير ليموت فيأتيه الموت فعلا! وغير ذلك. والمسرح (أفعال) لا (أقوال) فالحوادث وحدها هى التى ترهص وترشح إن جاز أن يكون فى المسرح إرهاص أو ترشيح ..

وأراه — وذلك أمر ذو أهمية كبيرة للمؤلف — يجرى على لسان شخصياته كلاماً لا مواربة فيـه يمس مقدسات الناس وعقائدهم الدينية ، كلاماً سافراً جداً قد يشكك بعض الناس فيما يعتقدون به ويخضعون له . ولست أريد أن أردده هنا ولكنه مضطرب فى كثير من صفحات الرواية وخصوصاً فى الصفحات (١٣٥، ١٦٤، ١٦٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤) والمسرح للناس جميعاً وفيهم الساذج وضعيف الإيمان والحائر بين العقائد ، فإن كانت إشارة لامعدى عنها إلى هذه الأمور فلتكن خفيفة خاطفة لا صريحة سافرة متكررة كما رأينا .

وأراه يسرف فى بحث المشكلات الاجتماعية والدينية بحثاً جدلياً نظرياً كأنه محاضرات ! فيبحث — فيما يبحث — مثلا الاشتراكية ونظام الطبقات ومعاهدات « عدم الاعتداء » والإيمان الأعمى والموت وما بعد الموت وسواها ، وذلك تحميل لهذه المسرحية الكوميدية مالا تحتمل ! واعتقادى أن مرد ذلك القلق عند مؤلفنا الفاضل إلى « رباعيات الخيام » التى ترجمها والده الأديب الكبير المرحوم الأستاذ محمد السباعى وعاش مؤلفنا فى جوها منذ كان طفلا فامتلأت بهـا نفسه وأخذ يرددها منثورة فى مسرحيته !

وأراه ينطق الخدم وغيرهم بكلام قد يجرح حياء بعض من يرودون المسرح (كقوله تناكحوا تناسلوا) ، وقوله (تبق قيمة العيشة إيه لما الواحدة ماتعملش الحاجة اللى انخلقت علشانها ؟) وقوله (أمد إيدى تحت القميص بس ماتبقيش تقولى شيل إيدك) ! ومثل وصف صدر المرأة وبطنها قبل الزواج وبعده !

وأريد أن أسأل المؤلف : كيف ينتقل الحديث فجأة من حديث (الملوخية والكسبرة) إلى حديث زواج أم رتيبة ولا اتصال بينهما ؟ وكيف يدخل الخدم ويخرجون هكذا دون داع ودون استئذان ؟ وكيف يجرأون هكذا على العراك بالكلام وبالأيدى ، وكيف يتغزلون بالغزل المكشوف أمام سادتهم ؟ اللهم إلا إذا كان دخولهم لدفع ملل من حديث طويل أو لإحداث حركة فى موقف خامد ! وكيف تستفهم (أم رتيبة) هل مات (سيد أفندى) عند ماشرب ماء اللفت وهو طفل مع أنه يسكن جوار منزلها وتراه كل يوم وتسمع عنه كل يوم وتأمل الزواج به ؟ وكيف يسأل (عبد الصبور) — فى أول الرواية — عن صديقه (علوان افندى) الذى لم يحضر مع مريديه ومحبيه سؤالا نفهم منه أنه يعجب لعدم حضوره معهم ويستنكر ذلك مما يدل على أنه مواظب على حضور هذه الجلسات التى يعقدونها لتحضير «الأرواح» ثم تمضى الرواية كلها دون أن نرى (علوان افندى) !؟

وأريد — قبل أن يمضى بى الحديث إلى غايته — أن أنوه بالمجهود الكبير الذى بذله الأستاذ فتوح نشاطى فى إخراج هذه المسرحية ، فقد التمس لكل دور الشخص الذى لا يتصور الخيال أن أحدا غيره يناسبه ! إنه قد تعمق فهم شخصيات المؤلف وأخرجها لنا كما يريدها المؤلف تماما حتى صارت شخصيات نموذجية فى موضوعها ومعناها وصورتها أيضا ! وإن الحيل المسرحية التى اعتمد عليها فى تحضير « أرواح » الموتى ، وفى تحريك المنضدة والكوب والكراسى حيل بارعة لا يظهر فيها افتعال أو صنعة ! ولقد نهض الممثلون بأدوارهم فى براعة أشهد أنها فى الذروة من البراعة والمشـقة والجهد ، ولا أدرى كيف أشيد بأحدهم وأترك الآخرين فكلهم ناجح وكلهم مشكور ، بيد أنى آخذ على « وداد حمدى » التى كانت تقوم بدور الخادمة أنها لم تكن خادمة حقا ! وأقرر أن هذا عيب شائع فى ممثلينا ، فهم يرضخون لحكم (الصنعة) عندما يكلفون تمثيل أدوار

الخدم ، ولكنهم يضمرون الكراهية لهذا الدور بينهم وبين أنفسهم ! فتراهم لا يعملون تماما ما يعمل الخدم ، وإن عملوا فإنهم يحاولون أن تبدر منهم لفتة عظيمة ، أو كلمة فخمة ، أو مشية وقورة، تشير إلى أنهم ليسوا من الخدم فى شيء !! وذلك نقص أرجو أن يتلافوه !

وبعد : فأرجو أن يعلم المؤلف أننا نرقب منه خيرا كثيرا للمسرح ، وأننا نرى فيه مواهب متدفقة أصيلة ، وأن اللغو الذى أثير حول هذه المسرحية إنما هو من عبث الذين لا يعرفون عن المسرح إلا خشبته وأنواره ! والذين يحسبون المسرح مجرد شعوذة بيانية ، أو خطب منبرية ! أرجو أن يتوجه الأستاذ يوسف السباعى إلى التأليف المسرحى بكلياته، وأن يحاول اصطناع اللغة العربية السهلة التى أشرت بها، وأن يدرس فنون المسرح دراسة جد وصرامة لا دراسة هواية فحسب، وأنا زعيم له — بعد ذلك — بأنه سيكون من كبار مؤلفى المسرحيات الكوميدية ، وسيكون النقد — عندئذ — أسعد ما يكون وهو يقدم للجمهور هذا المؤلف الكبير .

علي متولي صلاح

آراء وأنباء

جوائز فؤاد وفاروق

علمنا أن الرأى قد استقر على أن تبقى جوائز فؤاد وفاروق للادب والعلوم والتاريخ والقانون على النظام الذى وضع لها فى المرسومين اللذين أنشئتا بهما . ولن يقع تغيير عليهما إلا فى اسميهما وموعديهما . فأما الاسم فسيكون (جوائز الدولة) ؛ وأما موعداهما فسيكونان فى غير ذكرى وفاة فؤاد وذكرى جلوس فاروق ، وسيعلنان فيما بعد

المؤتمر العلمى العربى الأول

وافق مجلس جامعة الدول العربية على قرار اللجنة الثقافية بعقد مؤتمر علمى عربى ، فى مدينة الاسكندرية ، فى أوائل شهر سبتمبر سنة ١٩٥٣ ، يشتمل على ثلاث شعب وهى :

شعبة البحوث العلمية المبتكرة ، وشعبة المشكلات العلمية العامة ، وشعبة المحاضرات الثقافية العامة

وقد تكونت بالقاهرة لجنة للاعداد لهذا المؤتمر ، بناء على قرار من المكتب الدائم للجنة الثقافية . ورأت هذه اللجنة أن تشمل البحوث التى تقرأ فى الشعبة الأولى من شعب المؤتمر فروع العلم الآتية : علوم الرياضة والطبيعة والأحياء والكيمياء والجولوجيا ، وتقترح اللجنة أن يقتصر البحث فى الشعبة الثانية من شعب المؤتمر على المشكلات الآتية : المصطلحات العلمية ، التأليف والترجمة والنشر ، إعداد مدرسى العلوم ، العلم والاقتصاد القومى .

أما الشعبة الثالثة فتخصص محاضراتها بدراسة تاريخ العلوم عند العرب . وسيدعى للاشتراك فى هذا المؤتمر وفود الدول العربية، ومندوبو الهيئات العلمية، والعلماء من العرب، وذلك لقراءة البحوث المبتكرة ، والتشاور فى وسائل تذليل العقبات وحل المشكلات التى تعترض تقدم العلوم والبحث العلمى فى البلاد العربية

الصحفيون فى أوبرج الفيوم

دعا الأستاذ عبدالعزيز طلعت حرب عضو مجلس الإدارة المنتدب ببنك مصر ، لفيفاً من أعضاء نقابة الصحفيين لتمضية نهار كامل بأوبرج الفيوم ، وهو فندق عظيم مقام على ساحل بحيرة قارون ، وهى بقعة من أجمل مشاتينا المصرية، ومن الأمكنة التى يستطيع الزائر أن يمضى فيها وقتا هادئا لطيفا صيفا وشتاء ، وهو بمثابة مصحة للاعصاب المتعبة ، والأذهان المضطربة ، والنفوس الثائرة . ذلك أن المناظر الريفية الخلابة تشرح الصدر ، وتمتع البصر اذ يمتد طويلا فى فضاء البحيرة المتلون ، فمن مناظر جميلة على صفحة الماء الزرقاء المترقرقة فى اليوم الصحو ، إلى مناظر تشبه الغروب

والوقت ضحى أو ظهرا إذا كانت السماء ملبدة بالغيوم ، فتظهر القوارب والشرع كأنما تسير إلى جوف الغيب الذى لايدرك، أو تنتشر على أمواج الماء فى اليوم المشمس فتنافس الشروق فى بعث الأمل فى النفوس البائسة ، وتشرح الصدور المثقلة بالمتاعب ، وتخفف عن الكواهل عبء المسئوليات .

وهيأ لنا الأستاذ الداعى رحلة جميلة إلى تفتيش مصائد الأسماك ، وقدم الأوبرج طعام الغداء لضيوفه الكثيرين إلى جانب نزاله العديدين الذين كان يبدو على محياهم البشر والرضاء . وعدنا فى سيارات الفندق التى ذهبنا بها فى راحة وبشر ، بعد أن استودعنا الأستاذ عبد العزيز طلعت وطلبنا إليه أن يكثر من أمثال هذه المشاتى وتوجيه أكبر عناية للمصايف على الشواطىء المصرية الجميلة ، التى تضارع أحسن شواطىء العالم إن لم تمتز عليها بأشياء كثيرة . وحبذا لو اهتم أصحاب رءوس الأموال منا لأن يتعاونوا على إنشاء المشاتى والمصايف على أحدث النظم فى مختلف المواضع الصالحة لذلك بمصر ، حتى يمكن لمواطنين الإفادة من الاستمتاع بأجواء بلادهم ، والتى يمكن أن تكون مهبطا للسائحين من جميع أنحاء العالم ، ولتكون من أربح موارد البلاد الاقتصادية .

يوم الفلسفة

أقام أساتذة الفلسفة والتربية بوزارة المعارف حفل تكريم للاستاذ المربى مظهر سعيد عميد الفلسفة وعلم النفس بالمعارف بنادى دار سينما ريفولى . وقد شهد الحفل جمع عظيم من رجالات وزارة المعارف والجامعات ، والصحافة ، وشرف الحفل نائب الرئيس القائد اللواء محمد نجيب . وبعد أن قال رجال الفلسفة والتربية كلمتهم فى تكريم يوم التحرير وعميد الفلسفة والتربية ، وبعد أن قال الدكتور منصور فهمى كلمته المستفيضة ، قام رجل الجيش الصاغ الديب ، فتكلم عن الفلسفة وعن العلماء ومهمتهم فى انجاح سياسة الدولة فى عهدها الجديد السعيد ، بمقدرة العالم المثبت ، وتجربة السياسى المحنك ، ثم عرج على المبادىء التى يجب أن يضعها أساتذة الفلسفة والتربية أمام أعينهم ، والطرق الفعالة المجدية التى ينفذون بها إلى نفوس طلابهم ، حتى نتمكن من بناء دولة متينة العمد ، ثابتة الأسس ، سامية الغرض . ودهش الناس أن يجمع الضابط بين العلوم الحربية والعلوم الفلسفية والتربوية والاجتماعية ، ولكن لعل عجبهم يخف إذا علموا أن نفراً عظيما من ضباط الجيش الذى تولى تحرير البلاد .. على أعظم جانب من العلم والثقافة . وأنه لمن حسن الحظ لمصر أن يتولى أمره هذه النخبة الممتازة من أبنائه

وكان مسك ختام هذا الحفل كلمة الشكر التى ألقاها الدكتور مظهر سعيد المحتفى به ، متدفقاً كعادته بدرر الكلم وسامى المعانى .

يوم التحرير

امتاز الأسبوع الماضى بما حدث فيه من أمور مهمة ، فقد احتفل الشعب والجيش بيوم التحرير ، ولقد أتت الوفود ممثلة للشعب من مختلف أنحاء البلاد ، وعرض من وحدات الجيش جانباً من أنواع نشاطه ، وحذا حذوه معاهد العلم على اختلافها ، وممثلو الجاليات الأجنبية فى صفوف الكشافة والجوالة ؛ كما زان العرض صفوف نظامية ممتازة من فتيات الكشافة ، ومرت المواكب التى ترى نشاط الأمة المتنوع . لقد كان يوماً عظيماً خالداً ، نعم لقد كان مهرجان يوم ١٣ يوليو ١٩٥٢ يوم التحرير الذى لا يمكن أن ينسى مهرجاناً فخماً ؛ ذلك بأن يوم التحرير سطره التاريخ فى صفحات الأزل بحروف من نور ، وصار يوم البعث ، يوم الحياة .

وكان أهم ما امتاز به يوم مهرجان التحرير .. الخطبة العظيمة التى ألقاها الرئيس القائد اللواء محمد نجيب ؛ فقد عبر فيها عن آلام الشعب وآماله ، ألقاها بلسان الحق والقوة والإخلاص ، فنفذت إلى كل قلب ، واستقرت فى كل نفس ، واعتمدت دستوراً لن يحيد عنه إنسان واحد فى الوادى ،

أو يشذ عنه ، بعد أن فرغ من خطبته الجامعة تلا القسم ورده من ورائه الملايين فى صدق وعزم ، ونقاء طوية ، وعاهد الناس أنفسهم على الثبات على هذا المبدأ ، كما أشهدوا الله على أنفسهم ، ورجو الله أن يكون لهم خير نصير ، ومن ينصره الله فلا غالب له . -

فى عالم الكتب : نقد وتعريف

الزنابق الحمر لطاغور

ترجمة الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

من دلائل النهضة الحديثة فى مصر ، وفى الشرق العربى ، أن يتحرك الأدباء إلى نقل نفائس الكتب عن لغاتها التى صدرت بها . ولم يكن الأمر كذلك منذ عهد قريب ، بل كان يسعى الناقل إلى الإنجليزية أو الفرنسية يطلع فيها ، وينقل عنها المؤلفات الفارسية أو الهندية أو الصينية . ونحن نعلم أن الترجمة مهما تكن أمينة فلن تقوى على نقل الآثار الأدبية بدقة تامة ، ونعنى بالآثار الأدبية الشعر والتمثيليات . وعلة ذلك أمور كثيرة ، أهمها خصائص كل لغة مما يجرى فيها من تعابير ، وليس لها مثيل فى اللغات الأخرى . وهذا هو السبب فى اختلاف التراجم الفرنسية عن الإنجليزية للأصول اليونانية مثلا . بل لقد تختلف الترجمة فى اللغة الواحدة تبعا لاختلاف ذوق المترجمين ومقدار فهمهم للأصول ، ولذلك تتعدد التراجم للنص الواحد

مما لا شك فيه إذن أن الناقل يبعد عن الأصل بعض الشئ ، فإذا جاء ناقل وترجم الأصل عن لغة أخرى فقد ابتعد خطوة أخرى عن الأصل . ولذلك كانت الترجمة عن الأصل رأسا أفضل من الترجمة عن الترجمة

ويسرنا أن نقرأ تمثيلية الزنابق الحمر للشاعر الهندى رابندرانات طاغور معربة رأسا عن الأصل البنغالى ، بقلم الأديب أحمد عبد الغفور عطار الذى يقول فى كلمته يقدم المسرحية : « وقد حاولت جهد المحاولة أن أنقل جو طاغور وروحه وفنه وبساطته ، وأقترب فى أسلوبى العربى من أسلوبه فى البنغالية . فإن كنت قد وفقت فالحمد لله ، وإلا فعذرى إن كنت أمينا فى النقل والترجمة ، وبذلت غاية الوسع ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها

والمترجم من مكة المكرمة ، ولكنه درس فى مصر ؛ ولذلك لا يحس فى أسلوبه أو عبارته أى غرابة عن اللغة المصرية . وهو يعرف اللغة البنغالية . وحدثنى أنه استغرق فى ترجمة هذه المسرحية ثلاث سنوات مع أنها صغيرة الحجم ، وهذا شأن الفنان الذى يستغرق فى فنه ويتأنى فى عمله والمسرحية تعبر عن روح الهند وفنها الأصيل الذى يختلف عن غيره من الفنون فى الدول الأخرى

وهى رمزية لا تمثل الواقع ، ولكنها تصور مع ذلك الحياة الإنسانية أبلغ تصوير . فلا يوجد إقليم اسمه «ياكشا» ولا يعبر عن الملك بصوت دون أن يرى

يصور طاغور فى هذه المسرحية المجتمع البشرى ، ويصور العلاقة بين الملك والشعب ، وبين الرجل والمرأة ، وبين العمال والرؤساء ، ويصور منزلة هذه الأشياء التى يتعامل بها الناس ويتداولونها ، كالذهب والخمر والشعر والغناء والزهور

فالملك رمز الظلم ، والمرأة رمز السحر ، والعامل رمز الدأب ، والذهب رمز القوة ، والخمرة رمز النشوة ، والزنبق الأحمر رمز الحب والخوف

تبدأ المسرحية بغلام عامل يحفر الأرض يخاطب « نانديني » المرأة الجميلة الفاتنة رمز السحر

كيشور : ألديك أزهار كافية يا نانديني ؟ لقد أحضرت

لك بعضها ، وأكثرت من بعض الألوان

نانديني — كيشور ، انطلق ، تحرك ، عد إلى عملك ، أسرع ، أرجو أن تعود وإلا تأخرت

كيشور — يجب أن أختلس جزءا من وقتي الذي أنفقه في الحفر بحثا عن الذهب ، لأحفر من أجلك حتى أحضر لك الأزهار

نانديني : ولكنهم سيعاقبونك إذا علموا بما صنعت

كيشور : قلت : يجب أن تحصلي على زنابق حمر . تالله ما أعظم سروري لندرتها في هذا المكان !

بهذا المطلع البديع يستهل طاغور مسرحيته . فهذه الزهور نادرة ، ولا يعرف سر مكانها إلا هذا الشخص العامل . وهي نادرة ندرة الذهب الذي يحفر المئات منهم الأرض للحصول عليه . ليقدموه إلى الملك ، وإلى أصحاب السلطان . وليس لهؤلاء العمال الحفارين أسماء إلا فيما بينهم وبين أنفسهم . أما في نظر رؤسائهم ، فلا يعرفونهم إلا بأرقام . إنهم « نمر » لا أكثر . فهذا الحفار يشق في الأرض باحثا عن الذهب ، ولكنه غير راض عن عمله ، بل ساخط عليه ، على حين يقبل باحثا عن الزنابق حتى يستطيع تقديمها هدية إلى نانديني . فترضى بذلك نفسه

أما الملك وأعوانه ، فإنهم يدفعون الناس للبحث عن الذهب ، لأنه الوسيلة لاستعبادهم ، مع أن الذهب شيء « ميت » لا جمال فيه . وانظر إلى الحوار بين نانديني وبين الأستاذ الفيلسوف

نانديني : يحيرني أن أرى مدينة بأسرها تدفع رأسها في التراب دفنا ، وتنقب بكلتا يديها في الظلام . أنتم تحفرون النفق في العالم السفلي ليل نهار ، وترجمون بثروة ميتة أودعت الأرض منذ أجيال فصانتها

الأستاذ — نحن نبتهل إلى شيطان هذه الثروة الميتة ، وإذا استطعنا استعباده رقد العالم تحت أقدامنا دون عناء

نانديني — ألهذا تخبئون مليككم خلف حائط من الستار المعتم ؟ أخوفا من أن يكشف الناس أنه إنسان ؟

الأستاذ — كما أن لشبح تراثنا الميت بأسا شديدا مخيفا فإن لشبح الملكية الغارق في الضباب بأسا أشد وأقوى . إنها بقواها غير البشرية ترعب الناس

نانديني — كل ما تقوله كلام نسجته الصنعة وزوقه الخيال

الأستاذ — إنه صنعة زوقها الخيال . ولئن كان العاري أسرع فهما وتصديقا ، فإن الملابس المصنوعة هي التي تستر ما في أجسادنا من عيوب ، وتخفي ما نود كتمانه ، وهي بعد تحددنا . لشد ما يتمنى أن أناقشك الفلسفة !

نانديني — هذا غريب منك أنت الذي اتخذت وكرك في الليل والنهار بين كتلة من الصفحات الصفر الشاحبة مثل حفاريك الذين ضلوا في جوف الأرض . إنك تضيع وقتي سدى

هذه عبارات سهلة ولكنها تعبر عن فلسفة في غاية العمق . إنها قصة الإنسانية التي ذهبت في الحضارة شوطا بعيدا ، فأصبحت تصنع كثيرا من الصناعات لا تقوى على المعيشة بدونها ، بل أصبحت تمجدها وتعبدها . الحق أن الإنسان المتحضر عبد لآلاف الأشياء التي يستعملها ، والتي يقتنيها بالمال ، كالمسكن وما فيه من أدوات ، وهذه الملابس المعقدة ، وسائر المقتنيات الكثيرة التي تزحم بها أنفسنا في هذه الحياة . ومن أجل هذه المقتنيات ، والسبق في الحصول عليها ، أخذ الناس يستعبد بعضهم بعضا بالعسف والإرهاب ، واستعمال السيف والسوط ، حتى نزل الرعب في القلوب ، وسرى الخوف في أوصال العباد . ولو تأملوا لرأوا أن حكامهم لا حول لهم ولا قوة ، وأنهم بشر كسائر البشر

ويحدثنا طاغور عن فلسفة الحب . إنها في نظره جاذبية طبيعية بين الرجل والمرأة ، لا يمكن أن يعرف سرها ، أو يعلل أمرها . لا يمكن إرجاع الحب إلى سبب معين ، فالصلة

بين الرجل والمرأة ، واتصال أحدهما بصاحبه ، يرجع إلى الحظ . وإذا كانت نانديني قد اختارت الزنابق الحمر دون غيرها من الألوان ، ودون غيرها من الزهور كالياسمين والسوسن ، فذلك لأن حبيبها « رانجان » يدعوها « الزنبقة الحمراء » وهي كذلك تحس أن لون حبه أحمر كهذا الأحمر الذي يطوق جيدها

وللألوان فلسفة . ولكل شيء معنى ودلالة وتختلف الدلالات باختلاف نظرة الناس . فهذه نانديني تفهم من الزنبقة الحمراء معنى الحب . ولكن « جوكيل » وهو أحد الحفارين يفهم منها معنى آخر ، فهو حين يرى جيدها وقد تدلى منه الزنبق الأحمر يقول لها « إنك تظهرين لي كشعلة من اللهب القاني يججها الشيطان »

حقا ما أعجب طاغور ! إنه يسطر مسرحيته بالألوان كما يفعل الرسام . إنه يريد أن يحلي جيد الملك بإكليل من الزهر الأبيض ، والبياض رمز الموت ، والحمرة رمز الحياة . وإذا كان الملك يجمع الذهب ، ويستمتع بلونه وتوهجه ، فإن لونه ميت كالذهب نفسه ، أما لون الزنبق فحي لأن الزهر حي

يفتن الذهب الناس لأنه رمز القوة ، ولكنها قوة وهمية ، لا يمكن أن يشترى بها الإنسان الحب ، وهو سبيل السعادة . وفي ذلك يقول صوت الملك معترفا لنانديني

« كل ما أملك أثقال ميتة ، وحطام أصم . لا الوفرة في الذهب بمستطيعة أن تخلق جريئا ، ولا الزيادة في القوة بقادرة أن تهب الشباب .. أنا أستطيع أن أحرس بالقوة التي أملكها ، ولكن ... آه ، لو كنت أملك شباب « رانجان » لحررتك ، ثم تشبثت بك ، وأخذتك بين أحضاني بعنف . إن وقتي ينفق في عقد الحبال المبرمة ، ولكن وا أسفاه ! كل شيء يمكن أن يحفظ بإيثاقه إلا السرور والمرح فإنهما لا يوثقان »

وإذا كان الملك شقيا بذهبه وقوته ، ولا يجد فيهما عزاء أو تسلية ولا ترويحا للنفس ، فإن الشعب يلتمس الراحة من الكدح والدأب في العمل بالنشوة التي يجدها في الخمر . وكل ما يؤدي إلى النشوة فهو خمر . ففي الطبيعة خمر ، والشراب المعروف خمر يبعث أيضا إلى النشوة

سئل « بيشو » وهو فيلسوف وشاعر من أتباع نانديني عن السبب الذي يدفع الناس إلى الشراب فأجاب :

« وسعت رحمة الله كل شيء ، وستتسع رحمته لمن يشربون قليلا فيعفو عنهم . لقد خلقت أذرعنا — نحن الرجال — لنبذل أقصى ما وضع في عضلاتنا من خمر القوة ؛ أما أذرعكن — أيها النساء — فقد خلقت لتقديم نبيذ العناق . إن كان في هذا العالم جوع يدفعنا إلى العمل والكدح فإن فيه أيضا اخضرار الغابة ووهج الشمس المشرقة ، وكلاهما يجعلنا ثملين إذا ما نادتنا أيام العطلة »

قالت محدثته : « أتسمى كل هذه الأشياء خمرا ؟ »

فأجاب بيشو : « نعم خمر الحياة ينبوع من اللذة والنشوة لا ينضب ولا يفسد . اسمعي شكاتي : جئت إلى هذا المكان مدفوعا إلى العمل والسطو ليلا على العالم السفلي . إن نصيبي الذي أستحقه من الخمر الطبيعية تلقاء عبوديتي للطبيعة قد حرمت منه ، ولهذا أجد إنساني الباطن يتشهى الخمر الصناعية ليتخفف من تعب النهار »

وأحسب أننا وقد ارتفعنا إلى هذه الآفاق العليا من فلسفة الحياة ، لا يعنينا أن نعرف كيف سارت المسرحية وكيف كانت خاتمة الملك ، لأن الحياة دوامة عظيمة تبتلع فيها كل شيء ، وتتقلب فيها الأشياء ، فتعلو تارة ، وتهبط تارة أخرى ، وتفقد قيمتها ، ويبتلعها هذا الغول الهائل الذي يسمى الزمان

أحمد فؤاد الأهواني

طرائف وقصص

شيء كالربيع

« إلى الباحثين عن حقيقة الفن وعشاق الجمال »

للاستاذ محمد أمين (البندق)

كان « المطعم الروماني » في ذلك اليوم غريب الزحام ، وما ذاك إلا لأن أوفيليا الحسناء كانت منذ أيام قد راحت تتردد إلى زبائنها الكثيرين فوعدتهم بأشهى طبق من طيور الصيد، تقدمه إليهم بغير زيادة على ثمن الوجبة المعهود ، إذا ماعاد زوجها من رحلة الصيد في السبت ، وكان ذلك اليوم هو يوم السبت . وإذن فقد كان على أن أرضى ويرضى معي زميلي روزاي بتلك المائدة المهجورة عند باب لا يكاد يقفل حتى يفتح من جديد . وكان علينا أن نروض النفس أيضاً على الصبر . فالخادم الكهل جيانينو بعد أن جاءنا بالنبيذ قد شغله الزحام مرة أخرى ، فما عاد يستجيب لندائنا عليه بأكثر من « نعم ياسيدى . حاضر . »

على أن الانتظار في الحق لم يكن يضنينا . فقد كان صاحبي يتسلى بأن يرسم على ظاهر قائمة الطعام صورة بارعة لذلك المتسول الشيخ الذي جلس على مقربة منا وهو يعزف أنغام الفرح الصاخب على (الفيزار مونيكا) . وأما أنا فكنت أقلب النظر في ذلك العالم الصغير الغريب فأكاد أنسى كل شيء .

كان هناك فيرد ينبو المثال وقد رأيته يطلب اللتر الكامل من جيد النبيذ، فقلت لنفسي إنه لاريب قد أخذ عربونا على تمثال للعذراء، علم الله على قبر أي تعيس من التعساء يوضع

وكان هناك توبي الرسام ، وكنت أراه يقنع في ذلك اليوم أيضاً بشرب الماء القراح وفي وجهه الصلابة والعزم . فأفكر في الصعاب التي يصادفها كل عبقري يأتي بالجديد .

وكان سوزي هناك أيضاً ؛ وجدته ضاحك الوجه لم تمنعه سنوه الخمسون من أن يضع في عروة سترته تلك الوردة الحمراء الملتهبة ، فلم أشك في أن علاقته مع تلميذته الصغيرة في الأكاديمية لم تزل على مايرام .

وأظل أتنقل بالنظر من مائدة إلى مائدة ، حتى ينتهي صاحبي وهو يهزني من ذراعي هزاً :

— فيرا الرسامة ! أتعرفها ؟

فأقول وما زلت شارد الذهن :

— كلا . ولكن يخيل إلى أن هذا الإسم قد سمعته من قبل .

— هي من أبرع الرسامات اللاتى عشن في روما

وكان هذا الإعجاب يبديه صاحبي — وهو الذي يبخل دائماً بالمدح — جديراً بأن يثير انتباهي . ولكن شيئاً غريباً في تلك المرأة هو الذي جعل نظرى يتعلق بها فيتبعها وهي تبحث هنا وهناك عن مائدة خالية .

كانت ترفع رأسها كأنها ملكة . ولكن وجهها كان هادئاً صاخباً حتى كأنها شاعرة . وكان شعرها الغزير الذهبي يترسل ليناً على كتفيها فيوحي إلى النفس معاني الهدوء واللطف والبساطة .

وقد وقفت آخر الأمر عند عمود مغطى بخشب الجوز القديم فاطمأنت وحدها إلى مائدة . ولم يتأخر عنها جيانينو بربع اللتر المعهود . وأما صاحبي فقد عاد يقول وهو يراني أطيل إليها النظر .

— ألا تجدها غريبة ؟ إنها لأعظم امرأة عرفتها وإن لها لقصة .

ولم يحملني الح عليه في الرجاء كما يقص على ما كان يعلمه ، فقد كان يحس من نفسه كل الرغبة . وقال :

« كانت فيرا تعمل كنموذج للفنانين قبل أن تتوفر بنفسها على الرسم . وكان ينبغي لك أن تراها في ذلك الحين ، أعني قبل عشر سنين ، فقد كانت رائعة الحسن . وكان

جسمها الذي رأيته في أمسيات كثيرة ، ماريا يشتعل تحت النور القوى في نادينا القديم في شارع مارجوتا ، شيئاً يفتن العين والقلب . ولعلك لاتلقى في كبار الفنانين في روما من لم يوح إليه هذا الجسم بعمل يعتز به فوق اعتزازه بأي شيء آخر . حتى ليقال إن الأستاذ (ف) الذي باع رسوماً رسمها لزوجه وبناته وهن عاريات أتم العري قد أبى أن يفرط في رسم لها ود الكثيرون شراءه بأغلى ثمن . وهو يقول إنه يريد أن يأخذه معه إلى القبر ، لأنه كل ماظفر به من دنياه

« ولم يكن الأستاذ (ف) في ذلك الحين هو صاحب ذلك الرسم الكبير الذي يرتفع حتى يبلغ ثمانية أمتار ويزيد ، بل كان واحداً منا نحن الذين كنا نتردد على النادي كل مساء لكيما نرسم النموذج الحي لقاء صولديات قليلة ، لعلك تعلم كيف كنا نقتطعها من حاجات العيش اقتطاعا .

« وأقول إنه لولا ذلك لما استطاع الأستاذ (ف) أن يظفر بذلك الرسم الذي يعزه فوق إعزازه لأي شيء آخر ؛ فقد كانت نيرا تأبى أن تعرض فتنتها على شيوخ الفن في المراسم الكبيرة الجافية ، وتؤثرنا وحدنا بنعمة الإلهام من جسمها العجيب . فقد كنا شيعتها التي تلتف حولها في خضوع وعبادة .

« نعم كنا أتباعا لجمالها . وكانت تصطفي من جمعنا من تشاء . على أنك لم تكن تعلم ما الذي يدنيك منها وما الذي يقصيك عنها . فقد كنت تقرر أن بعض الحسن أولى أن يستميلها ، وأن بعض الشباب أحق أن ينال رضاها ؛ ولكنها كانت تعرض عن هذا وذاك ، وتقبل وأنت حائر والكل حيارى على القبح الذي كان يخطر لك أنه أشد ما ينفر ، والشيخوخة التي لم تحسب لها أي حساب .

« غير أنها كانت تعود فتستبدل الحسن بالقبح والشباب بالشيخوخة ، فلا أحد يتولاه اليأس من أن يفوز بمتعة ليلة . وهي كانت ليلة مفردة فلا يطمع أحد في أكثر منها . والويل لمن علل النفس بالآمال وطمع في دوام الحب . إنه كان يضيع قلبه ويتلف روحه

« وظلت نيرا على هذا النحو نموذجاً لحقيقة الجمال وصورة لإحدى ربات الأقدمين غريبات الأطوار ، حتى بدالها في أمسية من الأماسي أن تجول بين أشتات اللوحات بعد جلستها الأولى لترى كيف رسمها الرسامون ووقفت عند لوحة فانطلقت تضحك .

لم يكن هناك رسم ولا شيء يشبه الرسم في تلك اللوحة وإنما كان هناك على الأصح تراب الفحم امتزج به العرق الكثير ، فنشأت منه بقع سود كبار ، وإذا كان تحتها شيء فهو خيال امرأة لا يظهر للعين إلا على جهد

فقالت نيرا ، إذن فالرسم سهل يسير . فما يعجزني أن أرسم شيئاً كهذا

ونظرت إلى صاحب اللوحة ، وهو فتى غض الإهاب من طلاب الأكاديمية فإذا به يستند إلى الحائط وهو يبتسم وكأنه يدافع عن نفسه بذلك الابتسام ، فقلت لنفسي إنه مسكين ، وإن أمره لم يكن عن جهل بالفن . وكنت على يقين ؛ فقد جرى لي نفس ما جرى لذلك الفتى يوم أن رأيت جسم نيرا العاري لأول مرة . ولكن العرق الذي تصبب مني كان أقل . ولعل هذا لأن حظي من فورة الشباب كان أيضا أقل . إلا أنني تمنيت بعد ذلك لو قد أصابني كل ما أصابه أو أكثر . فقد وقع عليه الاختيار في تلك الليلة ؛ ثم كان هو المختار أيضا في الليلة التي بعدها ، وفي الليلة الثالثة ، وفي ليال أخرى متعاقبة . ثم بدأ نادينا يقل رواده لأن نيرا لم تعد تظهر . والشاب أيضا لم يعد يظهر . ثم علمنا أن الاثنين قد طارا معا إلى عش على سطح دار صغيرة في (مونت ماريو)

وكف صاحبي عن حديثه لحظة ، فصب لي ولنفسه جرعة أخرى من نبيذنا القليل الذي كاد ينفد . وبحث في كل جيوبه عن شيء يعطيه لذلك العازف المسكين . ثم وصل الحديث فقال :

لم تعد نيرا تعمل كنموذج . وكان يقال إنها أحبت عيشة البيت الساكنة المطردة ، أكثر مما أحبت عيشة

اللاذ الطليقة النزعة ، لأنها أحبت رجلها . ولم تحبه فحسب بل كانت تعبده عبادة صادقة ، وكان يخيل إليك أنها ترد إليه بهذه العبادة كل العبادات التى أسلفناها لها

كانت تقاسمه حياته الصعبة ؛ بل كانت تأخذ لنفسها وحدها من حياته الوجه الصعب . وتبذل قصارى الجهد كيما تتيح له الهدوء واليسر والدعة

كانت تطحن الألوان ، وتعد له التيل ، وتصلح له الإطارات إلى جانب ما تقوم به من شؤون الدار

وكانت تقطع شارع (ميداليا دورو) الطويل فى كل صباح على قدميها فى ذهابها إلى السوق وعودتها ، لتقتصد (الصولديات) القليلة ، ولا تنفقها على الترام . والشراء من السوق كان وحده كلفة صعبة . فقد كان عليها أن تمر بالباعة كلهم فتستعرض ما لديهم فى دقة وعناية ، قبل أن تقدم على شئ . وكانت تلتفت حولها فى كل لحظة ، وتأخذ حذرها ، حتى لا تراها جارة من جاراتها الكثيرات . فقد كان يعز عليها أن يعلم الناس أن فيرارى الأستاذ الجليل الفنى يعانى شظف العيش ، حتى لتشترى امرأته أرجل الدجاج وأوراق الخص (الفرطة) والبيض المكسور

« ولكن شيزارينا الرسامة ، صديقتها وخليصتها ، قد اطلعت على سرها وجاءت تقص علينا النبأ فى المقهى اليونانى فأحسسنا مرارة الأسف . إلا أن فيرا نفسها لم تك تأسف . وكنت إذا قابلتها فى بعض الطريق صدفة وما كنت تلقاها إلا صدفة ، حيتك وعلى ثغرها ابتسامة حلوة ، يتجلى فيها الرضا . فإن أطلت النظر إلى وجهها الذى بدأت تتغير قسامته بعض الشئ من أثر السنين فى حياتها الجاهدة ، أو تأملت فى ثوبها البسيط الذى حاولت بذوقها العالى أن تجمل له رواء ، أو تطلعت إلى شعرها الذهبى الذى لم تحسن ترجيله لعجلتها فى الصباح ردتك فى لطف كما ردتنى مرة بقولها وهى تضحك : سيدى الأستاذ ! لا تنظر إلى هكذا ! إنى امرأة صالحة ، وإنى لأستحى..

« وكان إيمانها بفتاها كإيمان الشهداء لا حد له . فإذا قال لها قائل لماذا يتمسك فيرارى بذلك المذهب الغريب فى الرسم والناس لا يفهمونه ولا يرون فيه جمالا أجابته قائلة : إن فيرارى نابغة يجهل الناس قدره ، ولا ضير عليه أن يلقى الصعاب ، فكل نابغة تدتهب قبل أن يدرك غايته

« وقد لقيتها بعد معرض عرض فيه فيرارى بعض رسومه فحمل عليه النقاد حملة قاسية . وسألتها ماذا قال فيرارى حين سمع ذلك النقد فقالت . وهى ثائرة النفس :

ماذا يعلم النقاد من حقيقة الفن ؟ إن الفن لا يعرفه إلا من عاش فيه . وقلت إنى لا أحسبهم قد بعدوا عن الحق. فقالت وهى تبدى المزاح وتخفى الجد : سيدى الأستاذ أليس من الجائز أن تكون غيورا ؟ »

إن اللواتى يشبهن فيرا ندرة بين النساء ، أو ما علمت أن زوجتى حين ساءت حالى زمنا قصيرا لم يزد على شهر سعت إلى مرة بكل ما فى المرأة من اللين كيما تقول إنها عثرت لى على عمل آخر أهون على من الرسم وأكثر ربحا وهو وظيفة بواب ؟

« لقد كانت فيرا فى الحق كنزا عظيما . إلا أن ذلك الفتى الغرير لم يقدرها قدرها . فقد أخذ بعد فترة من الزمن يميل عنها ويكثر من السهر خارج الدار متعللا لذلك بشتى العلل . وكانت فيرا تظن كل شئ إلا أن يكون الفتى قد بدأ يمل عشرتها . ولكنها علمت مرة بطريق الصدفة أن للفتى خطيبة من بنات (تراستفرى) الغاويات أبوها صاحب مطعم وأن الفتى يقضى مع الصبية فى المطعم وعلى شاطئ التيبر شطراً من المساء وشطرا من الليل

لم يكن فى إصبع فيرا (دبلة) كالتى تلبسها كل حليلة لأنها لم تكن حليلته . ولكنها كانت فى واقع الأمر زوجا كأفضل الأزواج . وإذن فقد كان لها أن تثور أو تبدى الغضب أو تصب على صاحبها اللوم ، ولكنها لم تلجأ إلى شئ من كل هذا

وعاد الفتى ذات ليلة ، فوجد عشاءه ساخنا مهيئا كما اعتاد أن يلقاه فى كل يوم ، ووجد معه رقعة قصيرة ، تقول فيها أنها لن تعود

وما فعله الفتى بعد ذلك قد تستطيع أن تدركه بالبداهة

لغويات

القدوم

فى القدوم لغتان : (الأولى) ضم الدال من غير تشديد مثل (رسول) وهى التى يستعملها أهل القاهرة والوجه البحرى وجمعها (قدم) بضم القاف والدال مثل (رسل) و (قدائم) مثل عجائز

(الثانية) تشديد الدال مثل (نبوت) وجمعها (قداديم) مثل (نبابيت) وهى لغة أهل الصعيد

بقى شئ آخر وهو أن اللغويين حكموا على القدوم بأنها مؤنثة واستشهدوا بقول الشاعر :

قلت أعيرانى القدوم لعلنى   أخط (بها) قبراً لأبيض ماجد

وعززوا هذا بأنها (آلة — أداة) والمعنى له تأثير فى الحكم على الشئ تذكيرا وتأنيثا ولكن المصريين يذكرون القدوم فيقول : هو — هذا — كبير — صغير — انكسر — ضاع — وأرى أنه صحيح وقد يكون وراثيا عن العرب أو جاليتهم التى نزلت بمصر . وله نظائر فى التذكير والتأنيث مثل السكين . ولو طبقنا نظرية الاداة والآلة لحكمنا على كثير من الآلات والأدوات الموجودة من علامة التأنيث بأنها مؤنثة مثل المنشار والساطور ... ولا يخفى ما فى هذا من الخطأ والفوضى

كنكة

الكنكة : هى أداة معروفة مصنوعة من الصفيح ونحوه لعمل (القهوة) ونحوها وهى محرفة عن (التنكة) وبعض أهل الصعيد يقولون (تنكة) بالتاء من غير تحريف واليك النصوص التى تثبت صحة ما ذهبت اليه :

جاء فى (محيط المحيط) التنك : صفائح من الحديد رقيقة تطلى بالقصدير اهـ

وجاء فى (المنجد) التنك : صفائح من حديد رقيقة تطلى بالقصدير وصانعه تنكجى اهـ

وجاء فى (البستان) التنك معدن أبيض لين واحدته تنكة اهـ

وجاء فى (تفسير الألفاظ الدخيلة) : تنك تركى (تنكة) وهو حديد ممزوج بالقصدير يدق صفائح ، وتنكجى : صانعه اهـ

وهذه التسمية مجازية من قبيل إطلاق اسم الأصل (التنك — التنكة) بمعنى الصفيح على فرعه المصنوع منه أعنى الأداة المعروفة

وأما تنكجى فهى نسبة إلى (التنك أو التنكة) على الطريقة التركية مثل قصبجى

علي حسن هلالي

تزوج بطبيعة الحال من ابنة صاحب المطعم . ولكن الرجل الغليظ لم يكن يؤمن بشئ غير الحقائق البينة ، فما زال بالرسام المسكين حتى أقنعه بالعدول عن الرسم وحمله على الرضى بوظيفة صغيرة يأتيه منها مرتب ثابت ، فاطمأن بذلك على مستقبل ابنته . أما فيرا ...

ونظر كلانا إلى فيرا فإذا بها تنادى على جيانينو بإشارة هينة ، وتدفع إليه ثمن النبيذ وحده ، لأنها كانت مثلنا لم تذق طعاما ثم تنهض

ومرت بصاحبى تحييه بابتسامة عذبة ، وخرجت وهى خفيفة كالنسمة

وقال صاحبى :

إنى لأعلم أين وجهتها . ستذهب كعادتها فى مثل هذه الساعة إلى مقهى صغير أمام قصر الدمنة فتجلس هناك قرب النافذة ، لتختلس نظرة إلى فيرارى عندما يخرج . وبعد ذلك تمضى إلى بيتها كدأبها فى كل يوم لترسم لوحة أخرى من لوحات الزهر

رسمها ما أعجبه ! يجب عليك أن تراه ، فما أكثر ما فيه من الشعور وما أكثر ما فيه من السحر ! إنه شئ كالربيع

المنصورة   محمد أمين البدرى